الفصل الثاني
الإطار النظري

أولاً : الشخصية :

- مفهوم الشخصية.
- نظريات الشخصية.
- مفهوم السمات.
- أنواع السمات.

ثانياً : كف البصر :

- مفهوم كف البصر.
- حجم مشكلة كف البصر.
- زمن الإعاقة بفقد البصر.
- تعويض الحواس لدى المكفوفين.
- سمات شخصية الكفيف.
- التنشئة الاجتماعية للمكفوفين.

obeikan.com

أولاً : الشخصيـــة

مفهوم الشخصية *Personality Concept* :

مقدمـــــة :

يحتل موضوع الشخصية حيزاً كبيراً مـــن اهتمـــام البـــاحثين والعلمـــاء فى علم النفس بشكل عام وفى جانب كبير مـــن فروعـــه التخصصـــية ســـواء النظرى منها أو التطبيقـــى، ويعكـــس هـــذا الاهتمـــام المتزايـــد بموضـــوعات الشخصية من أهمية متعـــددة الأبعـــاد، خاصـــة فـــى فهـــم ســـلوك الإنســـان وتفسيره فى مناحى الحياة المختلفة ومراحل عمر الإنسان المتعاقبة.

والاهتمام بموضوع الشخصية ليس حـــديثاً ولا هـــو نتيجـــة للتطـــور المتسارع الذى يشهده عالم اليوم وإنما هو اهتمام لـــه تـــاريخ، رغـــم أن هـــذا الاهتمام قد احتاج لسنوات طوال حتى يـــدخل فـــى دائـــرة الدراســـة العلميـــة ***(محمد عبدالظاهر الطيب وآخرون، ٢٠٠٣، ص١٧٣).***

وسوف نتوقف عنـــد مفهـــوم الشخصـــية والتعريفـــات العلميـــة لهـــا، وكذلك أهم النظريات المفسرة للشخصية كما يلى :

- كلمة شخصية في اللغة العربيـــة مـــن شـــخص، والشـــخص – كمـــا جاء في مختار الصحاح للرازي – سواد الإنســـان وغيـــره تـــراه مـــن بعيد، وجمعه في القلة "أشخص" وفي الكثرة "شخوص".
- وفي معجم المصباح المنير في غريب الشـــرح الكبيـــر للرافعـــي مـــن تأليف الفيومي فإن شَـــخَصَ (بفتحتـــين) يشـــخص شخوصـــاً، خـــرج من موضع إلى غيـــره، وشـــخص شخوصـــاً أيضـــاً بمعنـــى أرتفـــع، وشخص البصر أي فتح الرجل عينيه لا يطرف.

والشخص سواد الإنسان تراه من بعد، ثـــم اســـتعمل فـــي ذاتـــه، قـــال الخطابي : ولا يسمي شخصاً إلا جسم مؤلف له شخوص وارتفاع.

أمـــا فـــي اللغـــات الأوروبيـــة فقـــد قـــام "ألبـــورت" Alport, 1937 ببحث مستفيض عن أصـــل المصـــطلح مـــن ناحيـــة علـــم اللغـــات، وتتبـــع مختلف المعاني التي اتخذها اللفظ أثناء التطور التـــاريخي الـــذي حـــدث فـــي استخدامه بعد ذلك في المجالات المختلفة :

الفلسفية والدينية والاجتماعية والقانونية والنفسية، وتلك تشير إلى المظهر الخارجي، مع محاولة تلخيصها ونقدها. ويورد تسعة وأربعين تعريفاً قبل أن يضع التعريف الذي يرتضيه.

- وتكشف الشخصية عن تعقد دراستها والاختلاف بين وجهات نظر ألباحثين إليها، وفي تعدد تعريفاتها. ولكن هذا التعدد – من زاوية واحدة – قد يكون أمراً مرغوباً فيه، فإذا كانت الشخصية كلاً معقداً متعدد الجنبات والسمات، فإن كل تعريف لها يقدم تركيزاً على واجهة أو جانب معين، لهذا الكل المعقد. ومن هذا المنظور فليس هناك تعريف واحد صحيح، وما عداه خاطئ، فإن تعريف أي مصطلح كما يذكر جليفورد Guilford أمر تحكمي اختيارى ومع ذلك فيجب أن نلاحظ أن بعض هذه التعريفات أكثر كفاءة من الأخرى ***(أحمد محمد عيد الخالق، ١٩٧٩م، ص ص ٩ – ١٢)***.

ومصطلح الشخصيةPersonality مشتق من الكلمة اللاتينية Persona ، والتي تعني القناع mask ، وتعريف الشخصية هكذا بأنها تشبه القناع الموضوع على وجه الممثل أثناء أداء الدور، يعني أنه من المقبول لنا أن نختار ما نظهره أو نكشفه للآخرين من شخصيتنا، هذا التعريف يعكس وبوضوح أن هناك بعض الصفات الشخصية تبقى لسبب أو لآخر طي الكتمان، ويؤيد هذا النوع من التعريفات أصحاب المدرسة التحليلية.

وهناك اتجاه آخر من التعريفات يلقي الضوء على الشخصية كجهاز معقد من الاستجابات "وطبقاً لوجهة النظر هذه فإن سلوكنا يدل على شخصيتنا "You are what you do" أو كما نقول في العامية "أصلك فعلك" والتعريفات التي من هذا النوع تعتمد على السلوك الملحوظ وجوهر السلوك وتحدد في ضوء مكونات الشخصية، وقبول هذا يعني أنه لكي تحدد خصائص شخص ما لاحظ سلوكه في المواقف المختلفة.

ويري أصحاب هذا الاتجاه أن الكائن الإنساني لا يولد شخصاً وإنما يولد فرداً، ومن خلال اكتسابه للغته وأفكاره وأهدافه وقيمه يكتسب

طابعه الشخصي، فالشخص هو من يشارك الآخرين في بعض خصائصهم الاجتماعية بالإضافة إلى انفراده بخصائص تميزه عنهم، ويعرفون "الشخصية Personality" (بأنها أسلوب عام منظر نسبياً لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم والعادات والتعبيرات لشخص معين، وهذا الأسلوب العام هو محصلة خبرات الشخص في بيئة ثقافية معينة)، ويتفق هذا النوع من التعريفات مع وجهة نظر المدرسة السلوكية. *(محمد السيد عبد الرحمن، ١٩٩٨م، ص ٢٦)*.

وهناك وجهة نظر ترى أن الشخصية (هي الميكانيزمات الداخلية Internal Mechanisms التي تتحكم في السلوك – وطبيعة هذه الميكانيزمات تحدد شخصية الفرد)، وتتبع نظرية الذات Self Theory ونظرية السمات Trait Theory ، هذه الفئة من التعريفات، فلكل شخص، سمات معينة، وهذه السمات بدورها تحدد طريقة سلوك الفرد في أي موقف، ومن المفروض أن نلاحظ أنه طبقاً لذلك أنه إذا أراد شخص ما أن يغير سلوكه فعليه أن يغير بطريقة أو بأخرى من سمات شخصيته أو يغير ذاته، وحيث إن سمات الشخصية، والذات تعد عموماً ذات طبيعة معرفيه "فهي جزء من العقل"، فإن هؤلاء الذين يقبلون هذه التعريفات للشخصية قد وضعوا أنفسهم في تحدي مع مشكلة الجسم والعقل Mind – Body Problem والتي تحدد أن هناك علاقة متبادلة بين تأثير كل من الجسم والعقل كل في الآخر.

من خلال وجهات النظر السابقة يمكن أن نخرج بتعريف للشخصية على أنها "التفاعل المتكامل للخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص وتجعل منه نمطاً فريداً في سلوكه ومكوناته النفسية". وقد تكون هذه الخصائص شعورية محسوسة يعيشها الفرد ويدركها مثل مظاهر سلوكه الخارجي، أو قد تكون لا شعورية غير محسوسة مثل الذكريات والأحلام.

ويختلف علماء النفس فيما بينهم حول عمومية أو خصوصية هذه الخصائص، فالبعض يرى أن خصائص الشخصية مشتركة بين جميع الأفراد، في حين يرى آخرون تفرد الشخصية الإنسانية. *(محمد السيد عبد الرحمن، ١٩٩٨م، ص ص ٢٦ – ٢٧)*.

إن تعدد تعريفات علماء النفس للشخصيةPersonality تعددا كبيراً يعكس تعقد دراستها، ويمكن تصنيف تعريفات الشخصية إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولي من التعريفات: تركز على الشخصية بوصفها منبهاً أو مثيراً، فتهتم بالمظهر الخارجي للشخص وقدرته على التأثير في الآخرين.

في حين تهدف **المجموعة الثانية** من التعريفات: إلى تجنب المشكلات وجوانب النقص والنقد التي لحقت بتعريف الشخصية بوصفها مثيراً، فتعرفها بأنها "استجابات الفرد للمنبهات المختلفة التي تؤثر فيه".

أما **المجموعة الثالثة**: فتنظر إلى الشخصية من حيث "هي متغير وسيط بين المنبه والاستجابة، أو على أنها تكوين فرضي Hypo The Ti Cal Construst داخلي، أو تنظيم دينامي يمكننا من تفسير سلوك الفرد" ***"أيزنك وألبورت وستاجنر , Alport , 1961 , Eysenck 1985 Stagner, 1974 ."***

النظريات المفسرة للشخصية :

السؤال الذى يطرح نفسه بداية .. ما هى الضرورة التى تدفع بعلماء النفس إلى ابتكار نظريات الشخصية ؟

والجواب : أن الناس دائماً فى حالة تقييم للآخرين، ويلاحظوا الفرد من خلال المظهر الشخصى والأخلاقيات ويستمعوا إلى ما يقوله الآخرين، ويلاحظون ما يفعلونه فى مختلف المواقف ثم يربطوا هذه الملاحظات بما تقوله نظريات الشخصية من أجل استنتاج الميول وتحديد الدوافع الكائنة وراء سلوك هؤلاء الأفراد. ولكن يجب أن نحذر التسرع فى الخروج باستنتاج سريع على شخصيات الأفراد اعتماداً على التقييمات الذاتية لسلوك الآخرين حتى لا نقع فى الخطأ، حيث يمكن أن يتأثر تقييمنا لشخص ما بدرجة كبيرة بتوقعاتنا عن هذا الشخص، وقد يؤثر ذلك فى تحديد سلوكنا تجاهه.

ولقد ابتكر علماء النفس كثيراً من نظريات الشخصية. وقد صمدت بعض هذه النظريات أمام اختبار الزمن، بينما كان عمر البعض

الآخر من النظريات قصيراً، ولكنها كانت أكثر تأثيراً في وقتها وتلاشت بعد ذلك. وقد تم تعديل بعض النظريات على أيدى منظرين آخرين، بينما أصبح العديد من النظريات تاريخاً. وجدير بالذكر أنه يستحيل حصر كل نظريات الشخصية التى وضعها علماء النفس *(محمد عبدالظاهر الطيب وآخرون، ٢٠٠٣، ص١٨٧)* ولذلك سوف نتناول النظريات المرتبطة بموضوع الدراسة.

أولاً : نظرية التحليل النفسى *Psychoanalytic theory* :

لقد أكد فرويد أنه مع التطورات فى النواحى الذهنية والمنهجية والتكنولوجية فإن تحولات أساسية تحدث لمفاهيم دقيقة وهو شئ يجب الترحيب به، ولقد وصف فرويد بعض ما حدث له من تغيرات أساسية فى فكرة فى ضوء خبرته الطبية الطويلة، ولسوء الحظ ليس واضحاً إذا ما كانت الكتابات الأولى لفرويد تعد متخلفة على نحو يمكن معه تركها أو اعتبار أن التراجم والكتابات التالية مكملة لها، وبالرغم من أن هذه التراجم نادرة، وقد تبدو متناقضة مع ما قبلها بما قد يؤدى إلى بعض الملابسات، إضافة إلى قلة ما يتخذ من إجراءات أو محاولات لاتمام هذه الخطوات المتقدمة. ورغم ذلك نجد بعض الكتاب مازالوا يؤكدون على تفسير فرويد لأنظمة العقل، اللاشعور والإدراك الحسى التى يعتبرها كتاب آخرون غير هامة، ويمكن تجاهلها بدرجة كبيرة إذا قورنت بما ظهر من تطورات جديدة. وقد إزداد الغموض نتيجة استخدام فرويد لنفس النمط ليشير إلى أشياء مختلفة ومتنوعة فى فكره خلال مراحل مختلفة *(محمد عبدالظاهر وآخرون، ٢٠٠٣، ص١٨٨)*.

وتخضع شخصية الإنسان في نموها وتطورها من وجهة نظر "فرويد" لمجموعة من المبادئ، أهمها ما يلي:

[١] مبدأ اللذة:

ومعناه عند "فرويد" هو أن الإنسان "تحركه" الرغبة في اللذة وتجنب الألم. ذلك أن السلوك يرجع في أساسه إلى حالة من التوتر المؤلم، وأن الكائن الحي يميل إلى الأشياء والأفعال التي تؤدي إلى خفض ذلك التوتر وبلوغ حالة التوازن، فالإنسان إذاً يهدف بطبعه إلى تجنب الألم وتحصيل اللذة.

وينظر "فرويد" إلى هذه التوترات على أنها فطرية، ولكن يمكن أن ترتبط أيضًا بعديد من المثيرات خلال عملية التعلم، وهذه التوترات حالات أساسية ترتبط بإحساسات الألم، وتسلك سبيلها الذي يهدف إلى خفض حدتها ومن ثم إلى تحقيق اللذة.

ويقول "فرويد": نحن نعتقد أن أي عملية معينة إنما تصدر عن حالة توتر مؤلم، ومن ثم تحدد لنفسها السبيل الذي يتفق وهدفها النهائي من أجل خفض التوتر، أعني بتجنب الألم أو إحداث اللذة".

[٢] مبدأ الواقع:

إن الإنسان لا يبحث فقط عن اللذة، ولكنه أيضًا مرتبط بحدود الواقع الذي يكشف له: "أنه في لحظة ما، عليه أن يؤجل لذاته العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى آجلة أكثر أهمية من تلك العاجلة" ومن الواضح أن سلوك الكبار ليس محكومًا على وجه التحديد بمبدأ اللذة وإن كان يبحث أيضًا عن اللذة، إلا أنه واقعي في بحثه، مما يترتب عليه وجود تدرج في مراتب اللذة.

ومبدأ الواقع مؤداه "أن اللذة المباشرة أو تجنب الألم في اللحظة الراهنة يمكن أن يؤجل من أجل لذة أكبر، أو من أجل التخلص من ألم أعظم في مناسبة مقبلة أخرى".

ومبدأ الواقع يعتبر مبدأ مكتسبًا متعلمًا، وليس غريزيًا نولد مزودين به، وإذا كان الطفل يأتي إلى هذا الوجود مزودًا بمبدأ اللذة، فإنه من خلال دروس الحياة ومن خلال التوجيه والتنشئة الاجتماعية، يكتسب الإحساس بالواقع في تعامله مع نفسه ومع البيئة.

وعلى ذلك يعتبر "فرويد" مبدأ اللذة ومبدأ الواقع قانونَيْن ديناميين يحكمان سلوك الكائن الحي العضوي.

[٣] مبدأ الثنائية أو الازدواج:

توجد قوتان متعارضتان دائما في حياة الإنسان. فكل شيء في الحياة يظهر فيه هذا الازدواج. فهناك الصواب والخطأ والحسن والرديء، والرجل والمرأة، والحياة والموت، والأبيض والأسود، والأعلى والأسفل، والداخل والخارج، والموجب والسالب إلى آخر هذه

القوائم من الخصائص غير المتشابهة التي تزخر بها حياة الإنسان. ونحن فيحياتنا اليومية نواجه باستقطابات واختبارات بين أفعال مختلفة.

[٤] مبدأ إجبار التكرار:

وفي هذا المبدأ يؤكد "فرويد" دور العادة وتكرار الخبرات في سلوك الإنسان. فالإنسان يميل بطبعه إلى تكرار الخبرات القوية الماضية التي يمر بها.

فما أن يعتاد الإنسان على القيام بنشاط ما بطريقة معينة، حتى يميل إلى تكرار هذا النشاط وبنفس الطريقة لدرجة تجعله يؤديه دون كثير من التفكير الشعوري. فالإنسان في نظر "فرويد" حيوان تسيره العادة. وطالما أنه يميل إلى تكرار كل ما هو ناجح، فإنه كلما زاد تكراره له، أصبح أسلوبًا أكثر ثباتًا وجمودًا في حياته العادية. ولأن هذا الأسلوب يصبح ثابتًا وجامدًا، فإن الإنسان يتبعه في معالجة مشكلاته ومواجهتها.

بناء الشخصية عند فرويد:

تتكون الشخصية من ثلاثة نظم أساسية: الهو، الأنا، الأنا الأعلى، ورغم أن لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه وديناميات وميكانزماته التي يعمل وفقًا لها، إلا أنها جميعًا تتفاعل معًا تفاعلاً وثيقًا؛ بحيث يستحيل فصل تأثير كل منها عن الآخر وتقدير وزنه النسبي في سلوك الإنسان.

فالسلوك هو في الأغلب محصلة تفاعل هذه الأنظمة الثلاثة، ونادرًا ما ينفرد إحداها بالعمل دون الآخرين. وسوف يتم توضيح كل واحدة منها على حدة فيما يلي:

[١] الهو *ID*:

"الهو" هو النظام الأصلي للشخصية، والذي يعتبر أساسًا لكل حياة إنسانية. فهو يوجد مع الإنسان منذ لحظة ولادته، ويظل معه طول حياته. هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي كل ما هو موروث أو غريزي. كما يحوي العمليات العقلية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن

الحياة النفسية الشعورية. إنه مستودع الطاقة النفسية، كما أنه يزود العمليات التي يقوم بها النظامان الآخران بطاقتهم.

و"الهو" يخضع لمبدأ اللذة فقط، ولا يهتم بأي شيء آخر فهو الجزء الخام، غير المرتب، وغير المهذب الباحث عن اللذة.

[٢] **الأنا *Ego*:**

والأنا تتبع مبدأ الواقع، وتعمل وفق العمليات الثانوية. فإذا كان الهو يعمل وفق مبدأ اللذة ويستخدم العملية الأولية، تفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل التوتر، فإن الكائن الحي يتطلب معاملات مناسبة وإشباعاً واقعياً، ومن ثم يفرق الأنا بين الأشياء التي توجد في العقل والأشياء التي توجد في العالم الخارجي.

و"الأنا" هو الجزء المنظم، وهو الذي يبحث فقط عن إيجاد مخارج تخدم أغراض "الهو"، دون أن يترتب على ذلك تحطيمه.

فالأنا إذاً يخضع لمبدأ الواقع، يفكر تفكيرًا موضوعيًا ومعتدلاً ومتمشيًا مع الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها، أما وظيفته فهي الدفاع عن الشخصية، والعمل على توافقها مع البيئة، وحل الصراع بين الكائن الحي والواقع، أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي.

[٣] **الأنا الأعلى *Super Ego*:**

هو هذا الجانب الخلقي للشخصية إنه مثالي وليس واقعيًا. هدفه الكمال وليس اللذة، إنه هو الذي يقرر ما إذا كان نشاطًا ما حسنًا أم سيئًا وفق معايير المجتمع التي يتقبلها. والقوانين الاجتماعية لا تعني شيئاً بالنسبة إليه ما لم يتقبلها ويتوحد معها.

و"الأنا الأعلى" بوصفه الحكم الخلقي الموصل للسلوك ينشأ استجابة للثواب والعقاب الصادرين عن الوالدين، ويمكن تلخيص الوظائف الأساسية "للأنا الأعلى" فيما يلي:

كف دفعات الهو، وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجنسي أو العدواني، حيث إن هدف الدفاعات هي التي يقابل التعبير عنها من المجتمع بأشد صور الإدانة والرفض.

إقناع "الأنا" بإحلال الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية.

العمل على بلوغ الكمال، أي أن "الأنا الأعلى" يميل إلى معارضة "الهو و"الأنا" معًا، وإلى تشكيل العالم على صورته (*سيد غنيم، ١٩٧٢م، ص ص ٥٣٩ - ٥٤٩*).

إن الأجزاء الثلاثة المكونة للشخصية تكون دائماً في حالة صراع، فالهو يحاول أن يعبر عن دوافعه العزيزية، في مقابل الأنا الأعلى الذى يضع المعايير الأخلاقية بشكل مثالى، وهو مستوى بعيد المنال غالباً، أما الأنا فهى تحاول دائماً أن تحافظ على التوازن بين هذه القوى المتعارضة، وهى أحياناً تنضم إلى الهو، وأحياناً تكون مع الأنا الأعلى، ويتوقف ذلك على الظروف السائدة.

وبناءً على ذلك يتضح أن الإنسان يظل سوياً كلما كان الأنا قادرة على السيطرة على طرفى الصراع (الهو والأنا الأعلى) وهو فى سبيل ذلك يعمل على استخدام العديد من ميكانيزمات الدفاع التى منها الإنكار والكبت والإسقاط والتكوين العكسى، إضافة إلى الإعلاء أو التسامى ... وجميعها يعمل على إرجاء الرغبة أو منعها من التحقق أو تحويل طاقاتها إلى أنماط سلوكية أكثر رقياً وقبولاً من المجتمع، كما يستخدم الأنا عدداً من الوسائل البديلة للإشباع للتخفيف من حدة الرغبة وخفضاً للتوتر الناتج عنها مثل زلات اللسان وأحلام اليقظة .. وغيرها من أنماط الإشباع المتخيل.

أما إذا ضعف الأنا وتمكن أحد طرفى الصراع من السيطرة فإن النتيجة المتوقعة لذلك هو اضطراب الشخصية وانخفاض مستوى السواء، ويكون الإنسان أمام مفترق الطرق. فإذا كان الهو هو الأقوى كان الإشباع الصريح للرغبة والتفعيل لها .. وغالباً ما يؤدى ذلك بالشخصية إلى الانحراف الاجتماعى ضارباً بذلك كل القيم الذى حاول الأنا الأعلى الضعيف أن يحافظ عليها.

أما إذا كانت الغلبة للطرف الآخر (الأنا الأعلى) فإن معنى ذلك أن تستند القيم بالشخصية ويبدو الإنسان متزمتاً فى كل أفعاله رافضاً لكل مظاهر الإشباع حتى على المستوى المتخيل.

والشخصية على كلا الوجهين السابقين تعد غير سوية لأنها افتقدت إلى التوازن المطلوب للإشباع.

لذلك فإن معيار السواء تبعا لنظرية التحليل النفسى يتمثل فى قوة الأنا التى تضطلع بدور المحافظة على توازن الشخصية وحل الصراع بين الهو والأنا الأعلى إضافة للدور الآخر لها والمتمثل فى القدرة على إقامة علاقة سوية بالعالم الخارجى.

ثانياً : النظرية السلوكية :

اتفق السلوكيين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم في أن العصاب سلوك متعلم، أي مكتسب من البيئة، وبالتالي فهم أكثر من غيرهم إيماناً بدور التنشئة الوالدية في تشكيل السلوك وصياغة الشخصية، سواء على الصورة السوية أو على الصورة غير السوية. فالإنسان عند السلوكيين لا يولد ولديه استعدادات معينة، وإنما يولد مزوداً باستعدادات عامة (**علاء كفافي، ١٩٨٩، ٢٧، ٢٨**).

بناء الشخصية فى النظرية السلوكية :

يدور تعريف الشخصية فى النظرية السلوكية حول مفهومين :

١- مفهوم العادات.

٢- مفهوم الدوافع.

أولاً : مفهوم العادات :

هى الرابطة بين المثير والاستجابة وتتكون عندما تتدعم الرابطة وتقوى بحيث يكفي حدوث المثير لصدور الاستجابة.

ثانياً : مفهوم الدوافع :

افترضت النظرية السلوكية أن الإنسان يولد مزوداً بها، وتتكون الدوافع من دوافع أولية ودوافع ثانوية، والدوافع الأولية ترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان مثل : الطعام، والشراب، والنوم، ... إلخ.

بينما الدوافع الثانوية ترتبط بتنظيم الدوافع الأولية الأساسية وكيفية الحصول عليها .

ويرى علاء الدين كفافي (١٩٩٧م) أن الشخصية في النظرية السلوكية تنمو وتتطور من خلال الدوافع الأولية والدوافع الثانوية التى

تكون تنظيمات هرمية للاستجابة حسب درجة تدعيمها أو تعزيزها (علاء الدين كفافي، ١٩٩٧، ٢٧٣، ٢٧٤).

ثالثاً: نظرية النمط عند هانز أيزنك *Eysenck type theory*:

يدور تعريف "أيزنك Eysenck" للشخصية حول أربعة أنماط سلوكية:

[١] (الذكاء) معرفي.
[٢] (الخلق) النزوعي.
[٣] (المزاج) العاطفي.
[٤] (الجبلة) الجسمي.

وهكذا فإن الشخصية هي "المجموع الكلي للأنماط السلوكية الفعلية والممكنة للكائن الحي، كما تتحدد بالوراثة والبيئة، وهي تنشأ وتنمو من خلال التفاعل الوظيفي للأجزاء المكونة التي تنتظم فيها هذه الأنماط السلوكية.

ولقد قبل "أيزنك" تعريف "ألبورت" المشهور في كتابه الذي صدر عام ١٩٥٣م وهو بعنوان: "بناء الشخصية المتكاملة" كما استخدم تعريف "روباك Roback" للشخصية عام ١٩٣٤م وهو: "التنظيم المتكامل لجميع خصائص الفرد المعرفية والوجدانية والنزوعية والجسمية، كما تظهر ذاتها في تمايز مركز بالنسبة للآخرين "ويدخل في تعريف الشخصية هذا عند "أيزنك" اعتقاده في استمرارية السلوك واتصاله.

بناء الشخصية عند أيزنك:

يؤكد أيزنك على الأنماط، ولقد كان هدف الكثير من أعماله العلمية التعرف على الأنماط، وإن ركزت بعض أعماله على وصف السمات:

وهو يرى أن هناك ثلاثة أبعاد رئيسة للشخصية، وهذه الأبعاد هي:

- الانطواء Introversion والانبساط Extraversion
- العصابية Neuroticisim واللاعصابية Non – Neuroticism.
- الذهانية Psychoticism واللاذهانية Non – Psychoticism.

الظـــروف الضـــاغطة المتكـــررة؛ إلا أن معظـــم الأفـــراد لا يواجهـــون إلا مشكلات قليلـــة، ويـــؤدون عملهـــم علـــى نحـــو ســـليم، ويقومـــون بـــدورهم الأسري والاجتماعي على نحـــو مناســـب، والعصـــابية بنيـــة أوليـــة وليســـت مجرد جملة من الأعراض، وهـــي مشـــتقة مـــن اســـتثارة الجهـــاز العصـــبي المستقل، وسلوك العصـــابي لـــيس واضـــحًا كالمنبســـط، والعصـــابيون أقـــل قدرة على الرؤية في الظلام من الأسوياء، وحـــين تعصـــب عيـــونهم لحجـــب الرؤية يتأرجحون إلى الأمام أكثر من الأســـوياء، ومســـتوى حـــافزهم أعلـــى من أقرانهم الأسوياء.

والعصابية عامل ثنائي القطب يقابـــل بـــين مظـــاهر حســـن التوافـــق والنضج أو الثبات الانفعالي وبين اختلال هـــذا التوافـــق، والعصـــابية ليســـت هي العصاب بل الاستعداد للإصابة بـــه عنـــد تـــوفر شـــرط الانعصـــاب أي: عندما يتعرض الإنسان للضغوط والمواقف العصبية.

٤- الذهانية:

ويتميز الفـــرد الحاصـــل علـــى درجـــة مرتفعـــة علـــى هـــذا البعـــد بالخصائص الآتية:

الذهانيون أقل طلاقة من الناحيـــة اللغويـــة، وأداؤهـــم مـــنخفض فـــي الرسم في المرآة وفي اختبار الجمع المستمر، وينقشـــع الكـــف ويتبـــدد لـــديهم ببطء شديد، وتركيزهم أقـــل وذاكـــرتهم أضـــعف وهـــم بطيئـــون جـــداً فـــي الأعمال العقليـــة والإدراكيـــة، وهـــم قليلـــو الحركـــة، وقـــد يبلغـــون حالـــة الاضطراب التخشبي، وهم غيـــر قـــادرين علـــى التكيـــف مـــع التغييـــر فـــي البيئة.

ولقد ربط "أيزنك" بعض الـــديناميات الأساســـية فـــي الشخصـــية كمـــا يراها مع ما قام به كل من "بافلوف" "وهـــل" مـــن أعمـــال علميـــة، وتوصـــل إلى مسلمة عن الفروق الفردية تستند إلى البنيـــات الجســـمية المتضـــمنة فـــي عمل الروابط بين المثير والاستجابة في الجهـــاز العصـــبي. وهكـــذا يـــرى أن الأفراد يختلفون في ثلاث خصائص:

ويرى "أيزنك" أن الشخصية تستطيع أن تتحرك من السلوك السوي إلى السلوك العصابي، ومن السلوك السوي إلى السلوك الذهاني، ومن السلوك السوي إلى مزيج من الأنماط السلوكية الذهانية العصابية.

ويحدد "أيزنك" الأبعاد الرئيسة للشخصية كما يلي:

١- المنطوي:

المنطوي الخالص هادئ ومترو ومتأمل ومغرم بالكتب أكثر من غيره من الناس ومحافظ ومتباعد، إلا بالنسبة لأصدقائه المقربين وهو يميل إلى التخطيط مقدمًا، أي إنه ينظر قبل أن يخطو أي خطوة، ويتشكك في التصرف المندفع السريع ولا يحب الاستثارة، ويأخذ شئون الحياة اليومية بالجدية المناسبة، ويحب أسلوب الحياة الذي حسن تنظيمه، ويخضع مشاعره للضبط الدقيق، وينـدر أن يسلك بأسلوب عدواني ولا ينفعل بسهولة ويعتمد عليه ويميل إلى التشاؤم، ويعطي أهمية كبيرة للمعايير الأخلاقية.

٢- المنبسط:

إن المنبسط الخالص شخص اجتماعي يحب الحفلات، وله أصدقاء كثيرون يحتاج إلى أناس حوله يتحدث معهم، ولا يحب القراءة أو الدراسة منفردًا، ويسعى وراء الاستثارة، ويتطوع لعمل أشياء ليس من المفروض أن يقوم بها، ويتصرف بسرعة دون تروٍ وهو شخص مندفع على وجه العموم. وهو مغرم بعمل "المقالب" وإجاباته حاضرة وهو يحب التغيير عادة، ويأخذ الأمور ببساطة، ومتفائل وغير مكترث، ويحب الضحك والمرح، ويفضل أن يكون دائم النشاط والحركة، وأن يقوم بأعمال مختلفة، ويميل إلى العدوان وينفعل بسرعة، ويمكن القول بصفة عامة: إنه لا يسيطر على انفعالاته بدقة، ولا يعتمد عليه أحيانًا.

٣- العصابية:

إن بُعْدَ العصابية يشبه فكرة عدم الاتزان الانفعالي؛ فالأفراد الذين يقعون عند طرف بعد العصابية يميلون إلى التعرض للقلق ويسهل استثارتهم، ويحتمل أن يشكوا من الصداع والأرق وفقدان الشهية. وعلى الرغم من أنه يزداد احتمال تعرضهم للاضطرابات العصابية في ظل

- يختلفون في السرعة التي يتم بها الكف والاستثارة في الجهاز العصبي.
- سرعة تبدد وتوزع الكف في الجهاز العصبي.
- شدة الكف الناتج والانطفاء.

وقد أكد "أيزنك" على ميل المنطوين القوي، وكذلك المنبسطين إلى أنماط سلوكية تميز كل منهما وخاصة حين يتعرضون لمواقف ضاغطة ومقلقة، وعندما يواجهون صعوبات لا يمكن التغلب عليها وفقًا لتفسيراتهم. ولقد أكد "أيزنك" على كلمة ميل أو استعداد الأفراد Predisposed أو نزعتهم ولم يناقش الأنماط باعتبارها متمايزة غريزيًا.

وتصور "أيزنك" للشخصية شبيه بتصور "كاتل" من حيث إن كليهما ينظر إلى السلوك على أساس هرمي.

فمن وجهة نظر "أيزنك" نجد عنده قاعدة تنظيم هرمي للاستجابة النوعية التي يمكن ملاحظتها بالفعل. وفوق هذه مباشرة نجد الاستجابة المعتادة، وفي المستوى التالي من الهرم نجد السمات وهي مماثلة لسمات المصدر عند "كاتل"، وعند القمة نجد الأنماط. فالأنماط عند "أيزنك" أبعاد أساسية للسلوك المستمر والمتصل أكثر من كونها فئات منفصلة ***(جابر عبد الحميد، ١٩٨٦م، ص ص ٣٢٩ – ٣٣٧)***.

ويشير أحمد عبد الخالق (٢٠٠٠م) إلى أن أبحاث أيزنك Eysenck, 1952، 1964، 1969، 1985 قد كشفت عن وجود ثلاثة على الأقل من الأبعاد الأساسية، أي الأبعاد المهمة والتي تمثل هذه العوامل العريضة الراقية ذات الرتبة الثانية Second – order factors الحد الأدنى اللازم لوصف تركيب الشخصية وبالتالي قياسها، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ذلك لا يعني أنها كل الأبعاد الممكنة أو المحتملة، وهذه الأبعاد هي:

١) الانبساطية Extroversion (E)
٢) العصابية Neuroticism (N)
٣) الذهانية Psychoticism (P)

(أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠٠٠م، ص ٢٣)

ويشير محمد قاسم عبد الله (١٩٩٩م) إلى أن هناك عدة فروق بين طريقة كاتل R. Cattell وهانز أيزنك H.J. Eysenck في النظر إلى سمات الشخصية، وأن الفرق الرئيسى هو في المستوى الذي ينظر إليه كل منهما للأبعاد الأساسية للشخصية، فقد أظهرت أبحاث "كاتل" وجود ست عشرة من السمات المصدرية الأساسية (العوامل). بينما أبحاث "أيزنك" تركز على عدد أقل من الأنماط الأساسية للشخصية.

ففي نظر أيزنك، الأنماط Types ليست فئات أو مجموعات Categories يندرج تحتها الناس، ولكنها أبعاد Dimensions يختلف فيها كل الناس.

كما يرى أيضاً "أيزنك" بأن الأنماط تمثل أبعادًا على خط متصل continuous (كما هو بالشكل B) وهذا عكس النظريات القديمة التي وصفت السمات على أنها منفصلة أي غير متصلة.

الشكل (B)

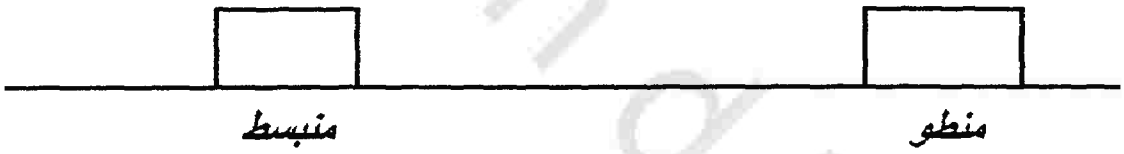

فقد وضح أيزنك أن هذه الأوصاف تمثل الحدود القصوى فى كل نمط (أوصاف الأنماط التى ذكرت فيما قبل)، وانه لا يوجد سوى قلة قليلة من الأفراد ينطبق عليهم هذه الصفات تماماً، أما الغالبية من الناس فيحصلون على درجات معتدلة فى هذه الأنماط **(محمد قاسم عبدالله، ١٩٩٩، ص٣٧)**.

رابعا : نظرية السمات لدى كاتل :

يرى "كاتل" أن السمات هي وحدات بناء الشخصية، والسمة أهم مفهوم في نظريته.

ويتفق "كاتل" مع "جوردن ألبورت" في أن هناك سمات مشتركة يشارك فيها الأفراد جميعًا أو جميع أعضاء بيئة اجتماعية معينة، وهناك سمات فريدة لا تتوافر إلا لدى فرد معين، ولا يمكن أن توجد لدى أي فرد آخر، بل أن قوة السمة تختلف عند نفس الشخص من وقت لآخر.

ويرى "كاتل" أن هناك نوعين أساسيين من السمات، وهما:

سمات المصدر وسمات السطح، وسمات السطح هي تجمعات من الوقائع السلوكية الملاحظة وهي وصفية وأقل استقراراً، وبالتالي فهي أقل أهمية من وجهة نظره، ومن ناحية أخرى فإن سمات المصدر هي المؤثرات الحقيقية التي تساعد في تحديد السلوك الإنساني وتفسيره، وسمات المصدر مستقرة وهامة جدًا وهي المادة الأساسية التي ينبغي على علم نفس الشخصية أن يدرسها.

إن سمات المصدر هي أسباب السلوك؛ حيث تشكل أهم جزء في بنية شخصية الفرد، وهي مسئولة في النهاية عن جميع العناصر المتسقة في سلوك الفرد، وهكذا فإن كل سمة سطحية مسببة ومعلولة لسمة أو أكثر من سمات المصدر، وسمة المصدر يمكن أن تؤثر في عدة سمات سطحية.

أنواع السمات لدى كاتل :

قسم "كاتل" السمات إلى ما يلي:

سمات القدرة:

تحدد بعض سمات المصدر التي يمتلكها الشخص مدى فاعلية الشخص في العمل نحو هدف مرغوب فيه، ويطلق على هذه السمات "سمات القدرة" ومن أهم هذه السمات "الذكاء"، ولقد ميز "كاتل" بين نوعين من الذكاء: المتبلور والسائل. وهو يعرف الذكاء السائل بأنه هذا الشكل من أشكال الذكاء العام الذي يرجع إلى حد كبير إلى الفطرة، والذي يتوافق مع جميع أنواع المواد بغض النظر عن الخبرة السابقة،

أي أن هذا الذكاء المرن قدرة عقلية يتطلبها التكيف مع المواقف الجديدة، ويرجع بدرجة أكبر إلى عامل الوراثة أكثر من الذكاء المتبلور، ويتوقف على الحالة الفسيولوجية العامة للفرد، ويثبت نموه عادة في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، ويميل إلى النقصان مع تقدم الفرد في العمر.

ويعرف "كاتل" الذكاء المتبلور بأنه "عامل عام يظهر إلى حد كبير في نمط القدرات المتعلمة في المدرسة، ويمثل الذكاء المتبلور أثر التطبيق الماضي للذكاء السائل، ومقدار التعليم المدرسي وكثافته، ويظهر في اختبارات مثل المقاييس اللفظية والعددية.

سمات المزاج:

وهي خصائص الشخص التي تتحدد وراثيًا، وتحدد أسلوبه العام وإيقاعه. إن سمات المزاج تحدد السرعة التي بها يستجيب الفرد للموقف والطاقة والانفعال. إنها تحدد مدى مثابرة الشخص واعتداله في آداب سلوكه، ومدى قابليته للإثارة، فسمات المزاج هي سمات مصدرية تحدد انفعالية الشخص.

سمات دينامية:

إذا كانت السمات الأخرى هي وحدات بناء الشخصية؛ فإن السمات الدينامية تهييء الشخص للحركة نحو بعض الأهداف، وهي لذلك عناصر دافعية في الشخصية، ولقد حدد كاتل أربعة أنواع من السمات الدينامية وهي: الدفعة الفطرية، وما بعد الدفعة الفطرية، والعواطف، والاتجاهات، وهي كما يلي:

(أ) الدفعات الفطرية *ERG*:

"وهي استعداد فطري نفسي جسمي يتيح لصاحبه اكتساب استجابة (انتباه – تعرف) لفئات معينة من الأشياء على نحو أيسر من اكتسابها بالنسبة لفئات أخرى، كما يتيح له أن يخبر انفعالات معينة بالنسبة لها، وأن يبدأ في سلسلة من الأفعال تتوقف على نحو تام عند هدف معين أكثر من توقفها عند آخر مما يعزز السلوك المفضل للهدف المفضل".

(ب) الدفعات المكتسبة أو ما بعد الدفعات الفطرية *Meteargs*:

الدفعة المكتسبة سمة مصدر دينامية تشكلها البيئة، أي أنه في حين تتشكل الدفعة الفطرية نتيجة لمحددات تكوينية، تتشكل الدفعة المكتسبة نتيجة لعوامل اجتماعية حضارية، وتدخل في هذه الفئة الاتجاهات والعواطف. والعواطف هي:

"بنيات سمات دينامية رئيسة مكتسبة تؤدي بأصحابها إلى الانتباه إلى موضوعات معينة أو فئات من الموضوعات، وأن يشعر بها ويستجيب إليها بطريقة معينة".

(جـ) الذات عند كاتل:

يعطي "كاتل" لمفهوم الذات مكانة هامة في نسقه، ويتحدث عن عاطفة الذات التي تضفي استقرارًا على سمات المصدر كما تضفي عليها درجة عالية من التنظيم، وعلى ذلك فإن قيام أي سمة مصدرية دينامية بعملها سوف يتطلب قدرًا من المشاركة من عاطفة الذات، وسوف ترتبط درجة تسير تعبيرها عن نفسها بمدى اتساقها مع الذات، ويغلب أن تعبر عن العصاب والحالات المرضية.

ويتحدث "كاتل" عن ثلاث جوانب فيما يتصل بالذات هي:

- عاطفة الذات.
- الذات الواقعية.
- والذات المثالية.

الدور / عند كاتل:

يتناول "كاتل" مفهوم الدور وما يلعبه فى سلوك الفرد، ويرى أنه لغز على علم النفس أن يتصدى لحله. والسؤال الذي يطرحه هو: هل التغير في الإدراك الذي يولد تغيرًا في الفعل حين يبدأ الفرد في أداء دوره يرجع إلى تغير في المؤشرات الموقفية أو إلى تغير في البنية الأساسية للشخصية ذاتها ؟ وهكذا فإنه يقول: هل يرى الفرد فعلاً الموقف مختلفًا؟ أم أن الفرد يغير فعلاً موقف الدور؟ وهو بصفة عامة ينتهي إلى القول بأن هذين النوعين من التغير يحدثان، ذلك أن القيام

بالدور يغير الفرد، كما أن الفرد يغير الدور *(جابر عبد الحميد، ١٩٨٦م، ص ص ٢٩٠ – ٣٠٣)*.

ولذلك على الرغم من أن كاتل يعتقد أن قدرات وعوامل الشخصية العامة تظل ثابتة بشكل واضح ولفترة طويلة، إلا أنه في الوقت نفسه يقر بأن المتغيرات التي تسببها الدوافع من المحتمل أن تتقلب من لحظة لأخرى، لاسيما تحت تأثير متغيرات لمواقف معينة. ومن هنا فإن هناك عاملان رئيسان يعتبر قياساً لمتغيرات هذه المواقف هما حالة الفرد ودوره. فأكثر أوصاف السمات ثباتاً في شخصية الفرد قد يلزم تغييرها بشكل كبير عندما يتأثر سلوك هذا الفرد بحالته الراهنة المؤقتة مثل الإرهاق، والسعادة، والخوف أو السكر. فالإنسان المجهد أو السعيد أو الخائف أو الثمل، ربما يبدو أنه يتصرف (بعيداً عن شخصيته) بعبارة أخرى، فإن التنبؤ بسلوك هذا الفرد على أساس عوامل السمات وحدها من المحتمل أن يؤدى إلى نتائج مضللة، فكاتل ينظر إلى متغيرات الشخصية باعتبارها واحدة من مجموعة الظروف التي تؤثر في السلوك في موقف معين وفي حالة نفسية معينة، والإسهامات النسبية للوراثة والبيئية ستختلف فيما يتعلق بالأنماط المختلفة للسلوك *(محمد عبدالظاهر وآخرون، ٢٠٠٣، ص٢١١)*.

خامسا: نظرية الذات لدى كارل روجرز *Rogers self theory* :

يسلم "روجرز" بوجود دافع رئيس واحد يسمى "النزعة إلى تحقيق الذات" إن لدى الكائن الحي نزعة أساسية واحدة تكافح ليحقق الكائن الحي الذي يعيش الخبرة ذاته، ويحافظ على بقائها ويزيد من قيمتها. وهناك مصدر رئيسى واحد للطاقة في الكائن الحي الإنساني، وأن هذه الطاقة هي وظيفة الكائن الحي ككل وليس لجزء منه، وأفضل تصور له أن نتصوره كنزعة نحو الكمال والتحقيق ونحو المحافظة على الكائن الحي وزيادة قيمته".

ويدرك "روجرز" بطبيعة الحال أن الأفراد يتصرفون في بعض الأحيان بطرق غير ملائمة، ولكنه يذهب إلى أن مثل هذه التصرفات لا تتسق مع الطبيعة الإنسانية؛ بل تنشأ من الخوف والأساليب الدفاعية.

فالأفراد نتيجة لخوفهم الداخلي ولدفاعاتهم قد يسلكون بل ويسلكون فعلاً طرقاً قاسية على نحو غير معقول ومدمرة تدميرًا مفزعًا، وغير ناضجة نكوصية، ومضادة للمجتمع ومؤذية. غير أنه من أكثر الخبرات بل أفضلها لما لها من تنشيط وحيوية في العمل مع مثل هؤلاء الأفراد واكتشاف اتجاهاتهم الإيجابية القوية في أعمق المستويات.

ويميز "روجرز" بين الخبرة والوعي **فالخبرة** : هي كل ما يدور داخل بنية الكائن الحي في أي لحظة، وهي متوافرة بالإمكان للوعي. وحين يعبر عن هذه الخبرات الممكنة بالرمز تدخل الوعي وتصبح جزءًا من مجال الشخص الفينومنولوجي، والرموز التي تستخدم كأداة لإدخال الخبرات إلى الوعي هي الكلمات عادة، ولكنها لا تكون بالضرورة كلمات، ذلك أن الرموز يمكن أن تكون صورًا بصرية وصورًا سمعية.

والتمييز بين الخبرة والوعي هام؛ لأن هناك شروطًا معينة تؤدي بالفرد إلى إنكار خبرات معينة أو تشويهها، وبالتالي منعها من دخول وعيه، ويلخص "روجرز" هذه النقاط حين يصف الخصائص التي يعتقد أن الطفل الإنسان الصغير يمتلكها على النحو التالي:

إن ما يدركه الأطفال هو واقعهم، وبالتالي فإنهم الوحيدون الذين يستطيعون أن يعوا واقعهم، ولا يستطيع أي شخص آخر أن يدرك إطارهم المرجعي الداخلي، يولد جميع الأطفال ولديهم نزعة إلى تحقيق الذات، ويحاول الأطفال إشباع حاجاتهم لتحقيق الذات وبالتالي فسلوكهم موجه نحو الهدف، ومسلك الأطفال في تفاعلاتهم مع البيئة كل منظم أي: أن كل ما يفعلونه يتصل بعضه بعضًا حيث يستخدم الأطفال عملية تقييم عضوية خاصة بهم كإطار مرجعي لتقييم خبراتهم. وتقييم تلك الخبرات التي تدرك على أنها متفقة مع نزعتهم لتحقيق ذاتهم كقيمة موجبة، أما الخبرات التي ندرك على أنها مضادة لنزعتهم هذه فتقيم تقييمًا سلبيًا. ويبحث الأطفال عن الخبرات التي تيسر تحقيق الذات ويحافظون عليها ويتجنبون الخبرات التي تعوق ذلك التحقيق.

وصف روجرز للشخصية:

- يوجد كل فرد في عالم دائم التغير من الخبرة، وهو في مركز هذا العالم.

- يستجيب الكائن الحي للمجال كما يخبره ويدركه، إن المجال المدرك بالنسبة للفرد هو الحقيقة والواقع.
- يستجيب الكائن الحي للمجال الظاهرياتي ككل منظم.
- للكائن الحي نزعة واحدة أساسية وهي: أن يكافح لتحقيق الكائن الحي الذي يحيا الخبرة ويحافظ على نفسه ويزيد من قيمتها.
- إن السلوك في أساسه محاولة موجهة نحو هدف، ويقوم بها الكائن الحي لإشباع حاجاته كما يخبرها في المجال الذي يدركه.
- الانفعال يصاحب السلوك الموجه نحو هدف وييسره.
- إن أفضل موقع لفهم السلوك هو من الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه.
- يتمايز جزء من المجال الإدراكي الكلي على نحو تدريجي ليصيغ الذات.
- تتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة، وخاصة التفاعل التقويمي مع الآخرين.
- القيم المرتبطة بالخبرات، والقيم التي تشكل جزءًا من بنية الذات تكون في بعض الحالات قيماً خبرها الكائن الحي مباشرة، وفي بعض الحالات الأخرى قيماً يتشربها أو يأخذها عن الآخرين، ولكنها مدركة بشكل مشوه؛ كما لو أنه خبرها على نحو مباشر.

ومع حدوث الخبرات في حياة الفرد فإنها إما أن:

٤) يعبر عنها رمزيًا وتدرك وتنظم في علاقة ما مع الذات.

٥) أو يتم تجاهلها لعدم وجود علاقة مدركة مع بنية الذات.

٦) أو تنكر الصورة الرمزية بالنسبة لها وتشوه لأنها لا تتسق مع بنية الذات.

٧) تتسق معظم طرائق السلوك التي يأخذ بها الكائن الحي مع مفهومه لنفسه.

وقد يصدر السلوك في بعض الحالات عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوى التعبير الرمزي.

حيث يوجد سوء التوافق النفسي حين ينكر الكائن الحي وعيه بخبرات حسية لها مغزاها. ويؤدي هذا بدوره إلى عدم التعبير عنها

رمزيًا وانتظامها في بنية الذات. وحين يوجد هذا الموقف قد يحدث توتر نفسي أساسي أو تتوافر إمكانية حدوثه.

فى حين يوجد التوافق النفسي عندما تتمثل جميع خبرات الكائن الحي الحسية والحشوية في علاقة متسقة مع مفهوم الذات، ويكون هذا التمثل في المستوى الرمزي، وحين يدرك الفرد هذه الخبرات ويتقبلها يصبح عندئذ أكثر فهماً للآخرين وتقبلاً لهم كأفراد منفصلين.

فقد تدرك أي خبرة لا تتسق مع بنية الذات أو تنظيمها كتهديد، وكلما كثرت هذه المدركات زاد الجمود في تنظيم بنية الذات لكي تحافظ على نفسها.

في ظل ظروف معينة تتضمن غيابًا تامًا لأي تهديد لبنية الذات يمكن إدراك خبرات لا تتسق معها وتفحص وتراجع بنية الذات لكي تستوعب هذه الخبرات وتشملها.

وهذا ما يدل على رغبة الشخصية في التقدير الاجتماعي. ففي بعض الأحيان تهيمن رغبة الفرد في أن يكون على صواب، وأن يكون جديرًا بالثناء والتقدير من قبل الآخرين في مجتمعه على قيمه الذاتية العضوية.

ولقد تبين "روجرز" من وجود رغبة قوية لتقدير الذات – Self Esteem موازية للرغبة في التقدير الاجتماعي. ولما كانت هذه الحاجة تنمو مع الخبرات؛ فمن الممكن للشخصية أن تتجاهل ضغوط المجتمع الذي ولد لديه الرغبة في التقدير الاجتماعي.

ونتيجة لقوى ورغبات ومطالب التقدير الاجتماعي وتقدير الذات ينمو لدى الفرد اتجاه قوامه اعتبار الذات وجدارتها؛ يساعده على مواجهة مواقف الحياة اليومية الصعبة ***(جابر عبد الحميد جابر، ١٩٨٦م، ص ص ٥٥٠ – ٥٥١)***.

إذاً فالشخص السوى تبعاً لهذه النظرية هو الذى يصل إلى درجة متقاربة بين الذات المثالية (التى يعتبر الصورة التى يحب الإنسان أن يرى نفسه عليها، والذات المدركة هو المكون الأساسى للخبرة الكلية للفرد).

والمعيار العام فى الحكم على السواء ـ اللاسواء يتمثل فى الدرجة أو المسافة التى تضع بين صورة الفرد لذاته (الذات المدركة) والصورة التى يجب أن يرى نفسه عليها (الذات المثالية) وعليه فكلما زاد التباين بين الذات المدركة والذات المثالية كلما زاد اللاسواء.

سادساً: نموذج سترلو – جراي الفيزيولوجي لتفسير الشخصية:

قام هذا النموذج على محاولة دمج نشاط الغدة الكظرية ونشاط كل من الجهاز العصبي التلقائي واللحاء، واعتبرهما يمثلان الشخصية فيما يتعلق بالفروق الفردية في الشخصية، وأطلق "سترلو" على ذلك مصطلح "الأمزجة Temperaments" وقد ركز "سترلو Sterlau" على العوامل البيولوجية التي تشكل العمليات التطورية Evolutionary Process وأعطاها مكان الصدارة في تحديد أنماط الشخصية أكثر من تركيزه على المحددات البيئية أو الفيزيقية. ومن ثم فقد اعتبر "سترلو" أن الفروق في الأمزجة واستجابة الأفراد نحو المثيرات مسئولة عن الفروق الفردية في الشخصية.

وقدمت دراسة كل من "كلونوويز، وزاودزاكا وزاودزاكا (1987) Klonowiez, zawadzaka, zawadzaka تفسيرًا لوجهة نظر "سترلو" إذ أسفرت دراستهم عن أن ذوي المزاج الاستجابي المرتفع يفضلون الأعمال المعقدة، فضلاً عن تلك التي تتضمن إثارة وتبتعد عن التقليدية، كما يميلون إلى ممارسة الأعمال التي تثير حب الاستطلاع لديهم، إذ أنها تثير الانفعالات الإيجابية، وذلك بالمقارنة بالمفحوصين من ذوي المزاج الاستجابي المنخفض.

وقد استعان "سترلو – جراي" بالاتجاه الفيزيولوجي العصبي في تفسيره للفروق الفردية في الشخصية – إذ حاول أن يدمج في رؤيته للفروق الفردية في الشخصية وبين الجهاز العصبي – وهو الاتجاه الذي انتهجه "بافلوف" من قبل وبين نظريات الشخصية وعلى التحديد – نظرية "أيزنك".

وتتحدد أهم محاور أو أبعاد نظرية "سترلو – جراي" في ثلاثة أبعاد على النحو التالي:

- **الأول:** الحساسية للعقاب والحساسية للمكافأة.
- **الثاني:** الانبساط – الانطواء والعصابية.
- **الثالث:** القلق والاندفاعية.

وتتلخص المسلمات الأساسية لنظرية "جراي" في الآتي:

[١] تعكس الزيادة في مستويات القلق زيادة مماثلة في مستويات الحساسية للعقاب وعدم تقديم المكافأة Non-Reward والجدة. Novelty ويكمن خلف ذلك نظام فيزيولوجي محدد (الكف السلوكي)، بمعنى أن النشاط الذي يتحكم في مستوى القلق يتكون من تفاعل مجموعة من الأبنية العصبية تتضمن بعض الأجزاء الخلفية لحصان البحر Septo Hypocampal في علاقتها ببعض أجزاء جذع المخ وبعض أجزاء نسيج اللحاء في الفص الجبهي Frontal Lobe.

[٢] تعكس الزيادة في مستويات الاندفاعية زيادة مماثلة في مستويات الحساسية للمكافأة، وعدم تقديم العقاب. والنظام الفيزيولوجي الذي يقف خلف المفهوم (الاندفاعية) مستقل عن النظام الذي يقف خلف القلق؛ إذ يرى "جراي" أن الهايبوثالاموس مسئول عن الاندفاعية.

ويرى كل من علاء الدين كفافي ومايسة النيال (٢٠٠٠م) أن اتجاه "جراي" يعكس الفروق الفردية في الشخصية من خلال بعض القلق والاندفاعية. فذوو المستويات المرتفعة من القلق هم أكثر حساسية للإثارة، ومن ثم نجدهم يشعرون بعدم الارتياح والتوتر حين تعرضهم للمواقف الجديدة والخبرات غير التقليدية، في حين يختلف الأمر لدى ذوي المستويات المرتفعة من الاندفاعية؛ فهم يبحثون عن مستويات الإثارة المثلى ويسعون وراء الخبرات الجديدة والمغامرة والمخاطرة، وقد دمج "سترلو" بين النظام الفيزيولوجي والنفسي في تفسير الشخصية *(علاء الدين كفافي ومايسة النيال، ٢٠٠٠م، ص ص ١٦ – ١٨)*.

سابعاً: نظرية مارفن زوكرمان *M.Zuckerman* للشخصية:

يشمل التراث النفسي في مجال نظريات الشخصية، محاولات "زوكرمان" منذ بداية عام ١٩٦٠م حينما حاول أن يتناول أبنية كل من "مستوى التنبيه الأمثل" و"مستوى الاستثارة الأمثل" وجعلهما من الناحية الإجرائية أبعادًا للشخصية. وبعبارة أخرى، فقد افترض "زوكرمان" أن الفروق الفردية في المستوى الأمثل للتنبيه والاستثارة تمثل في واقع الأمر – أبعادًا أساسية للشخصية، وأن هذه الفروق في فيزيولوجية الأعصاب يمكن أن تفسر الفروق الفردية في الاستجابة نحو المثيرات الشديدة أو نحو الحرمان الحسي.

إن "زوكرمان" بتوجهه هذا، والمتمثل في اعتبار أن "مستوى التنبيه الأمثل" و"مستوى الاستثارة الأمثل "بعدين أساسيين في الشخصية يرى الجسور القوية بين الجانبين البيولوجي الجسمي والعقلي النفسي في الإنسان، ويتجاوز النزعة الثنائية في النظر إلى الإنسان، وإذ ينظر إليه جسمًا وعقلاً.

ومن ناحية أخرى فقد توصل "زوكرمان" إلى أن هناك ارتباطًا سالبًا بين الاستثارة الحسية خميرة الأمينات الأحادية Monoomine Oxidase، وهي عبارة عن أنزيمات يفرزها الجهاز اللمبي ولها وظيفة الكف أو التثبيط في حالات الابتهاج Eupharia أو العدوان، أي أن العلاقة بينها وبين السلوك النشط علاقة سالبة، بمعنى أنه كلما ارتفعت وخميرة الأمينات الأحادية – كما يتم قياسها في بعض الأحيان في صفائح الدم – انخفض السلوك النشط.

وبناءً على ذلك يمكن أن نستخلص أن الأفراد من ذوي الاستثارة الحسية يتميزون بمستويات منخفضة من خميرة الأمينات الأحادية، إذ أنها تعمل على كف وتثبيط للناقلات العصبية الخاصة بالأمينات الأحادية، وقد يفسر لنا ذلك سبب نشاط مرضى الاكتئاب حينما تكبح خميرة الأمينات الأحادية عن طريق بعض العقاقير المثبطة.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ارتباطًا بين نشاط الهرمونات الجنسية Conadal Hermones وبين الاستثارة الحسية ولاسيما هرمون التيتو ستيرون، فقد توصل "سميث" وآخرون إلى أن الأفراد من ذوي

الاستثارة الحسية يظهرون إثارة نفس فيزيولوجية قوية نحو مثيرات الجنس والعدوان.

ويمكن تلخيص ما سبق في النقاط الآتية:

[١] ترتبط مستويات النشاط الخاصة بالنورابنفرين بالاستثارة الحسية، وفي حالة انخفاضها يحاول الفرد (مرتفع الاستثارة الحسية) تعويضها عن طريق البحث عن مثيرات متميزة وجديدة تصل به إلى مستوى الاستثارة الأمثل.

[٢] وينسحب الأمر ذاته بالنسبة لجهاز التنشيط الكاتولاميني؛ إذ أنه يعد ضعيف التنشيط لدى المستثارين حسيًا.

[٣] ترتبط خميرة الأمينات الأحادية سلبًا بالاستثارة الحسية؛ حيث تقوم الأولى بوظيفة الكف في حالات السلوك النشط (الميل إلى المغامرة، العدوان ... إلخ).

[٤] ترتفع الاستجابة المستثارة باللحاء عندما يتعرض المستثارون حسياً إلى مثيرات شديدة (بصرية أو سمعية) أي أن هناك علاقة موجبة بين الاستثارة الحسية وزيادة الاستجابة نحو المثيرات الشديدة.

ولقد أولى "زوكرمان" اهتمامًا من الدرجة الأولى للعوامل الوراثية، دون أن ينكر العوامل البيئية، ولاسيما ما تتضمنه من متغيرات تسهم في تنشيط المحددات البيولوجية واستثارتها؛ مما يجعلنا نخلص إلى أن الاستثارة الحسية تتأثر بالعوامل الوراثية، وفي الآن ذاته تتأثر بالعوامل البيئية في ارتقائها وتطورها، فلا يمكن أن ننكر نماذج التعلم المبكر، أو خبرات التنشئة الاجتماعية التي قد تكون وثيقة الصلة بتنمية سمة الاستثارة الحسية.

ومن ناحية أخرى، فإن ربط الاستثارة الحسية بالعوامل البيولوجية أمر لا يقلل من شأن هذه النظرية؛ فبحوث الشخصية لها دور بارز في دمج فروع علم النفس التجريبي وعلم النفس الفيزيولوجي وعلم نفس الشخصية.

ولم يكن "زوكرمان" أول من انتهج هذا الإجراء، فقد سبقه "أيزنك" في تفسيره وبحوثه لبعد الانبساط لانطواء، وكذلك "جراي" في فحصه لمفهوم الاندفاعية.

الانتقادات الموجهة لنظرية زوكرمان:

فلقد أشار "زوكرمان" إلى إمكانية تأثير مستويات خميرة الأمينات الأحادية على الاستثارة الحسية، وأن المستويات المرتفعة تؤدي إلى كف الإثارة. والحقيقة أن الدراسات التي أجريت لفحص هذه العلاقة لم تكشف عما إذا كان لخميرة الأمينات الأحادية تأثير مباشر على سمة الاستثارة الحسية أم لا ؟.

ويرى كل من علاء الدين كفافي ومايسة أحمد النيال (٢٠٠٠م) أن هناك تحفظاً على نظرية "زوكرمان" البيولوجية يتصل بإجراء بعض دراساته على الحيوانات، ولاسيما تلك التي تتعلق بعلاقة خميرة الأمينات الأحادية بالاستثارة الحسية.

ويجعلنا هذا نتسلح بالحكمة كثيرًا في تعاملنا مع هذه النتائج مهما كانت قيمتها الإمبريقية، فهناك كثير من المشكلات المنهجية المترتبة على ذلك ويجب وضعها في الاعتبار، فيذكر "جراي" (Gray, 1964) أن الدرس المهم الذي نتعلمه من ذلك هو انه مهما كانت خصوبة نتائج الدراسات التي أجريت على الحيوانات، ستظل قيمتها عند هذا المستوى طالما لم يحدث الانتقال لدراسة الإنسان بالمناهج التي تلائمه *(علاء الدين كفافي ومايسة أحمد النيال، ٢٠٠٠م، ص ص ٢١ – ٢٨)*.

مفهوم السمات:

تعددت تعريفات العلماء للشخصية كما ذكرنا، وأيضًا تعددت واختلفت تعريفاتهم للسمات، تبعًا لاختلاف نظرتهم ونظرياتهم عن الشخصية، بل إن المؤلف الواحد أحيانًا ما يبدل ويعدل من تعريفه للسمات من مرجع إلى آخر. وقد اتبع "ألبورت" كعادته في تأصيل المصطلحات التعريفات المتعددة للسمات من "جيرمي بنسام" حتى وقت ظهور كتابه، **وفيما يلي أهم تعريفات السمات لدى بعض علماء النفس:**

- **تعريف البورت Alport:** السمة تركيب نفسي عصبي لها القدرة على أن تعتد المنبهات المتعددة إلى نوع من التساوي الوظيفي،

وإلى أن تعتد إصدار وتوجيه أشكال متكافئة ومتسقة من السلوك التكيفي والتعبيري.

- **تعريف كاتل Cattell:** السمة هي مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح بهذه الاستجابات: أن توضع تحت اسم واحد ومعالجتها بنفس الطريقة في معظم الأحوال.

والسمة عنده كذلك "جانب ثابت نسبيًا" من خصائص الشخصية، وهي بعد عاملي يستخرج بواسطة التحليل العاملي للاختبارات أي الفروق بين الأفراد، وهي عكس الحالة.

- **تعريف جليفورد Guilford:** السمة أي جانب يمكن تمييزه، وذو دوام نسبي، وعلى أساسه يختلف الفرد عن غيره.
- **تعريف أيزنك Eysenck:** السمات مجموعة من الأفعال السلوكية التي تتغير مع تغير المواقف الحياتية، وتعد السمات عنده مفاهيم نظرية أكثر منها وحدات حسية.
- **تعريف ستاجنر Stagner:** سمة الشخصية تكون طريقة عامة في إدراك مجموعة من المواقف أو الاستجابة لها.
- **تعريف معجم إنجلش – إنجلش English-English:** السمة أي خاصية دائمة وثابتة نسبيًا لدى الفرد، والتي بها يمكن تمييزه عن غيره من الأفراد.
- **تعريف معجم دريفر Drever:** السمة خاصية فردية في الفكر والمشاعر أو الفعل، وراثية أو مكتسبة.
- **تعريف معجم وولمان Wolman:** السمة هي خاصية موروثة أو مكتسبة، ذات اتساق ودوام واستقرار، وتحدد سمات الفرد سلوكه بطريقة فريدة.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة للسمات نجد قدرًا من التشابه أو العناصر التي يمكن أن تعد مشتركة، وذلك نلخصها في تعريف مقترح **لأحمد عبدالخالق (١٩٧٩)** والتى تتبناه الدراسة :

"السمة أي خصلة أو خاصية أو صفة ذات دوام نسبي، يمكن أن يختلف فيها الأفراد فتميز بعضهم عن بعض، أي توجد فروق فردية فيها. وقد تكون السمة وراثية أو مكتسبة، ويمكن أن تكون كذلك جسمية أو معرفية أو انفعالية أو متعلقة بمواقف اجتماعية ***(أحمد محمد عبد الخالق، ١٩٧٩م، ص ص ٤٠ - ٤٢)***.

أنـــواع السمات:

ويفصلها "كاتل" Cattell ، ويميز من وجهة عامة أيضًا بين ثلاثة أنواع أساسية من السمات كما ذكرنا فى نظرية السمات :

[١] ***السمات المعرفية:*** أو القدرات وطريقة الاستجابة للمواقف.

[٢] ***السمات الدينامية:*** وتتصل بإصدار الأفعال السلوكية، وهي التي تختص بالاتجاهات العقلية أو بالدافعية والميول، كقولنا: شخص طموح أو شغوف بالرياضة، أو له اتجاه ضد الفلسفة وهكذا.

[٣] ***السمات المزاجية:*** وتختص بالإيقاع والشكل والمثابرة وغيرها، فقد يتسم الفرد مزاجيًا بالبطء أو المرح أو التهييج أو الجرأة وغيرها ***(أحمد محمد عبد الخالق، ١٩٧٩م، ص ٤٤)***

ثانيا : كف البصـــر *Blindness*

مفهوم كف البصـــر :

يمكن تعريف الإعاقة Handicap بصفة عامة، بأنها فقدان أو نقص فى وظيفة أو أكثر من الوظائف البدنية، بحيث يكون الفقد أو النقص حاداً بما يمكن أن تعتبر الفرد معوقاً ***(عبدالحفيظ رتش، ١٩٨٨، ص٢٦)***.

ثمة ألفاظ كثيرة في اللغة العربية تستخدم للتعرف بالشخص الذي فقد بصره مثل: الأعمى، الأكمه، الأعمه، الضرير، العاجز، المكفوف، الكفيف.

وكلمة "الأعمى" مأخوذة من أصل مادتها وهي العماء، والعماء هو الضلالة، والعمى يقال في فقد البصر أصلاً وفقد البصيرة مجازًا.

أما كلمة "الأعمه" فهي مأخوذة من العمه، ويعني على لسان العرب التحير والتردد، وقيل: العمة أي التردد في الضلالة والتحير في منازعة أو طريق.

ويقال العمة في افتقاد البصر والبصيرة، وقيل: إن العمة في البصيرة كالعمى في البصر، ويقال: أرض عمهاء أي بلا علامات أو أمارات، وغالبًا ما ترد كلمة "عمه" ومشتقاتها في معرض الذم، ووردت في القرآن الكريم آيات استخدم فيها لفظة "العمه" بما يوحي بالضلالة "لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون" (سورة الحجر .. آية رقم ٧٢).

أما كلمة "الضرير" فهي بمعنى الأعمى، لأن الضرارة هي العمى، والضرير هو من فقد بصره. والكلمة مأخوذة من الضر وهو سوء الحالة، إما في نفس الشخص لقلة الفضل والعلم والفقه، وإما في بدنه لعدم صحته أو سقمه، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه فيقال: رجل ضرير أي مريض.

أما كلمة "العاجز" فهي مشهورة في الريف العربي، والعامة يطلقونها على المكفوف لملاحظتهم أنه قد عجز عن الأشياء التي يستطيعونها هم، وهي من العجز أي التأخر عن الشيء، وصار في المتعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو عكس القدرة، وسميت العجوز بذلك لعجزها عن كثير من الأمور.

أما كلمة "الأكمه": فمأخوذة من الكمه، وهو العمى قبل الميلاد أي من يولد أعمى مطموس العينين.

أما كلمة "الكفيف" أو "المكفوف" فأصلها من الكف ومعناها المنع، والمكفوف هو الضرير وجمعها المكافيف *(الطفي بركات أحمد، ١٩٨١م، ص ص ١٣٧ - ١٣٨)*.

ومن أكثر التعريفات شيوعًا وأوسعها نطاقًا لتعريف الشخص الذي فقد بصره تمامًا Blindness المكفوف أو الكفيف يعتبر الشخص كفيفًا إذا كانت لديه حدة إبصار مركزي تصل إلى ٦/٦٠ (٢٠/٢٠٠) أو أقل في العين الأقوى بعد استخدام النظارات، أو حدة إبصار مركزي تزيد عن ٢٠/٢٠٠ مع وجود قصور يضيق في المجال البصري إلى حد يصبح فيه أوسع قطر للمجال البصري بزاوية لا تزيد عن ٢٠ درجة.

وفي ضوء هذا التعريف فإن الأشخاص الذين يفقدون البصر كليًا، أو من لديهم إدراك للضوء فقط (القدرة على تمييز الضوء من الظلام)، أو الذين لديهم إدراك للمسقط الضوئي (القدرة على تحديد مصدر الضوء)، أو الذين يستطيعون تمييز حركة اليد أمام العين، أو الذين لديهم إدراك للشكل، أو الذين لديهم قدر من الإبصار يمكنهم من الانتقال، والذين يمكن قياس حدة الإبصار لديهم وتصل إلى ٢٠/٢٠٠، وكل هؤلاء ينطبق عليهم تعريف الكفيف Blind *(فتحي السيد عبد الرحيم، ١٩٩٠م، ص ص٢٦٢ - ٢٦٣)*.

وفي موسوعة علم النفس والتحليل النفسي يعني كف البصر "فقد البصر أو العجز عن الرؤية" وقد يكون عضويًا بسبب نقص أو خلل عضوي، وقد يكون وظيفيًا لأسباب غير عضوية، وهو مظهر من مظاهر الهستريا التحولية، ويعالج بالتقويم، وقد يكون خلقيًا بالولادة" *(عبد المنعم الحفني، ١٩٧٨م، ص١٠٤٠)*.

وكذلك فالكفيف يعني "الشخص الذي لا يستطيع أن يجد طريقه دون قيادة في بيئة غير معروفة لديه، أو من كانت قدرته على الإبصار عديمة القيمة الاقتصادية أو من كانت قدرة بصره من الضعف بحيث يعجز عن مراجعة عمله العادي" *(عطيات ناشد وآخرون، ١٩٧٩م، ص٥٥)*.

وفي ذخيرة علوم النفس يعرف الكفيف على أنه "الشخص المحروم من البصر، أو أقل من ٢٠/٢٠٠ في العين الأقوى بعد محاولات تحسينها، وغير قادر على قراءة المادة المطبوعة حتى بمساعدة النظارات الطبية" ***(كمال دسوقي، ١٩٨٨م، ص١٨٧)***.

وفي معجم علم النفس والطب النفسي – كف البصر Blind يعني "عدم القدرة على الرؤية، أو عدم القدرة التامة على استقبال المثيرات البصرية، ويحدد الأعمى من الناحية القانونية على أنه من كانت قوة الإبصار لديه تساوي ٢٠/٢٠٠ في العين الأفضل مع استخدام الوسائل المصححة أو المحسنة للإبصار" ***(جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفافي، ١٩٨٩م، ص٤٣٦)***.

ويعرف الكفيف تربويًا على أنه "ذلك الشخص الذي تقل درجة إبصاره عن ٢٠/٢٠٠ في العين الأقوى، وذلك باستخدام النظارة، لأن مثل هذا الشخص لا يمكنه الاستفادة من الخبرات التعليمية التي تقدم للعاديين، أما الأفراد الذين تتراوح درجة إبصارهم ٢٠/٧٠ إلى ٢٠/٢٠٠ في العين السليمة بعد العلاج فيعتبرون مبصرين جزئيًا ***(محمد عبد المؤمن حسن، ١٩٨٦م، ص٢٦)***.

ويعرف الكفيف وظيفيًا Functionally Blind بأنه "ذلك الشخص الذي توجد لديه بقايا بصرية يمكن الاستفادة في مهارات التوجه والحركة، ولكنها لا تفي بمتطلبات تعليمه القراءة والكتابة بالخط العادي، وتظل طريقة برايل هي طريقته ووسيلته الرئيسة في تعليم القراءة والكتابة" ***(ناصر الموسى، ١٩٩٢م، ص٧)***.

والمعاقون بصريًا مصطلح عام يشير إلى درجات متفاوتة من الفقدان البصري، تتراوح بين حالات العمى الكلي ممن لا يملكون الإحساس بالضوء، ولا يرون شيئًا على الإطلاق، ويتعين عليهم الاعتماد كلية على حواسهم الأخرى تمامًا في حياتهم اليومية وتعلمهم، وحالات الإعاقة أو الإبصار الجزئي التي تتفاوت قدرات أصحابها على التمييز البصري للأشياء المرئية، ويمكنهم الإفادة من بقايا بصرهم مهما كانت درجاتها في التوجه والحركة، عمليات التعلم المدرسي سواء باستخدام

المعينات البصرية أو بدونها *(عبد المطلب أمين القريطي، ١٩٩٦م، ص١٧٦)*.

وترى الباحثة أن التعريفات المتنوعة التي تناولت كف البصر من مداخل عديدة قد اتفقت على القصور الذي قد أصاب حاسة البصر لدي الشخص الكفيف وما تبع ذلك من قصور في التعامل مع أمور حياته اليومية، ومهما كانت درجة التعويض الحساس التي قد يتميز بها الأكفاء بصرياً، إلا أن كم المعلومات وغزارتها التي يجمعها الإنسان من خلال حاسة البصر ثرية للدرجة التي يتعذر على باقي الحواس تعويضها مهما كانت درجة حساسيتها وتدريبها.

ويتطابق مع الرأي السابق للباحثة تعريف محمد سيد فهمي (١٩٨٣م) على أنه "من تنخفض حدة إبصاره بدرجة تجعله في حاجة إلى خدمات تربوية خاصة؛ كي تمكنه من السير في العملية التعليمية بنجاح كالقراءة بطريقة "برايل" *(محمد سيد فهمي ١٩٨٣م، ص٧٧)*.

حجم مشكلة كف البصر :

تكشف بعض الإحصائيات العالمية عن مدى زيادة حجم مشكلة المعاقين عالميا عن تلك النسب والتوقعات لأبعاد هذه المشكلة حتى عام ٢٠٠٠م، ومن أهم تلك الإحصاءات أن إجمالي نسبة المعاقين في الدول المتقدمة تصل عام ٢٠٠٠م إلى ١٣٦ مليون من بينهم ٨١,٦ مليون من شديدي الإعاقة، أما الدول النامية، فيصل عدد المعاقين بها إلى ٧٠٩,٧ مليون معاق، من بينهم ٤٢٥,٨ مليوناً شديدي الإعاقة، وطبقا لإحصاءات عام ١٩٨١م فإن إجمالي المعاقين عالمياً، تقدر نسبتهم ١٠ % من الإجمالي العام للسكان، والمتأمل لهذه النسب يجد أن هناك تفاوتاً كبيراً بين كل من الدول المتقدمة والنامية، فلقد بلغ متوسط نسبة المعاقين ٨ % في الدول المتقدمة، أما في الدول النامية فيرتفع هذا المتوسط إلى ١٣,٥ %، بينما يصل إلى ٢٠ % في الدول الأكثر تخلفاً، كما يلاحظ أيضاً أن تلك المؤشرات الإحصائية تشير إلى معدلات الزيادة السنوية للمعاقين وتباينها بين الدول المتقدمة والنامية، ولقد بلغ معدل الزيادة السنوية للمعاقين في الدول المتقدمة ٧٥. %، بينما يرتفع هذا المعدل إلى

حوالي ٢,٥٦ % في الدول النامية. ***(عبد الله محمد عبد الرحمن، ١٩٩٦م، ص ٩١).***

ففى النصف الثاني من القرن العشرين، أي بعد عام ١٩٥٠م قد شهد مرحلة جديدة وتطورات ملحوظة في مجال رعاية المعاقين، وساعد على ذلك صدور العديد من التوصيات والمواثيق الدولية، وكذلك ظهور الاهتمامات الدولية بهذه الفئة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، كما صدرت العديد من التشريعات القانونية والاجتماعية والصحية تنادي بحقوق المعاقين في التعلم والعمل والحياة، كما كانت لإسهامات التقدم الطبي الحديث الأثر الواضح في خفض نسبة المعاقين وخاصة في مجال طب العيون وكذلك الإعاقة الأخرى. ***(عبد الله محمد عبد الرحمن ١٩٩٦م، ص ٨٩).***

ومع ذلك فإن نسبة الإعاقة في العالم العربي قد تزايدت بصورة كبيرة، حيث يمكن تقدير إجمالي عدد السكان حالياً بحوالي ٢٢٠ مليون نسمة، ومع افتراضنا بثبوت نسبة المعاقين وهي ١٠ % من حجم السكان كما حددتها إحصاءات الأمم المتحدة في بداية الثمانينيات، فإن نسبة المعاقين حالياً تقدر بحوالي ٢٢ مليون معاق، ويعود ذلك إلى التزايد المستمر في عدد السكان، بالإضافة إلى التخلف الصحي، وعدم نمو الوعي الاجتماعي وزواج الأقارب والحوادث وغيرها من العوامل المسببة للإعاقة. ***(عبد الحي محمود صالح، ١٩٩٩م، ص ٢٧).***

وبناءً على الإحصائيات الصادرة عن منظمة الصحة العالمية لهيئة الأمم المتحدة بلغ عدد الأكفاء في العالم ١٠ مليون كفيف تقريباً، وذلك في التقرير الذي نشرته عام ١٩٧٣م، أي بنسبة ٠,٠٤% بالنسبة لعدد السكان، وترجع أسباب انتشار العمى بهذه الصورة في العالم إلى الأحوال الاجتماعية والثقافية والمناخية، وبالتالي إلى نقص الإمكانيات الموجودة للعلاج والإجراءات الصحية الوقائية خاصة في الدول النامية، ويقدر "ماكس شافلر" الألماني عدد الأكفاء في العالم البالغين ٢٥٠٠ مليون، أي ٥٠٨ كفيف لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة، أي بنسبة ٥ %، من سكان العالم ***(لطفي بركات أحمد، ١٩٧٨م، ص ٣٠).***

تصنيف كف البصر:

يمكن تقسيم الأكفاء إلى الفئات الأربع التالية:

[١] أكفاء كلية ⟵ ولدوا أو أصيبوا بالعمى قبل سن الخامسة.

[٢] أكفاء كلية ⟵ أصيبوا بالعمى بعد سن الخامسة.

[٣] أكفاء جزئيًا ⟵ ولدوا أو أصيبوا بالعمى قبل سن الخامسة.

[٤] أكفاء جزئيًا ⟵ أصيبوا بالعجز بعد سن الخامسة.

(لطفي بركات أحمد، ١٩٧٨م، ص٢٣).

ويمكن أن نميز الدرجات المختلفة التالية من الإعاقة البصرية فيما يتعلق بتأثير الإعاقة على الأنشطة الحسية:-

- فقد بصر تام Total Blindness، ولادي أو مكتسب قبل سن الخامسة.
- فقد بصر تام مكتسب بعد سن الخامسة.
- فقد بصر جزئي Partial Blindness، ولادي.
- فقد بصر جزئي مكتسب.
- ضعف بصر Partial Sight ولادي.
- ضعف بصر مكتسب.

على أنه من بين الفئات الست السابقة تدخل الأربع الأولى منها في نطاق تعريف فقد البصر، ويعتبر الأطفال الذين ينتمون إلى هذه الفئات الأكفاء للأغراض التعليمية.

أما الأطفال الذين ينتمون إلى الفئتين الخامسة والسادسة فإنهم يعتبرون ضعاف بصر للأغراض التعليمية أيضًا ***(فتحي السيد عبد الرحيم، ١٩٩٠م، ص ص ٢٦٤ – ٢٦٥).***

إن المعاقين بصريًا يمكن تصنيفهم إلى الفئات التالية:

١) ضعاف النظر بشكل شديد والذين لا يجدي معهم استخدام النظارات الطبية، وتتمتع هذه الفئة ببعض الخبرات البصرية السابقة كبيرة كانت أم بسيطة.

٢) أكفاء ممن أصيبوا بكف البصر بعد الولادة ولديهم خبرات بصرية سابقة.

٣) الأكفاء الذين ليست لديهم خبرات بصرية سابقة ***(رمضان محمد القذافي، ١٩٩٤، ص١٢٥)***.

كذلك يمكن تقسيم الأكفاء إلى الفئات التالية:

١) أكفاء كليًا: هؤلاء الذين ولدوا عمياناً أو أصيبوا بالعمى قبل سن الخامسة.

٢) أكفاء كليًا: هؤلاء الذين أصيبوا بالعمى بعد سن الخامسة.

٣) أكفاء جزئيًا: هؤلاء الذين ولدوا مصابين أو أصيبوا بالعجز قبل سن الخامسة.

٤) أكفاء جزئيًا: هؤلاء الذين أصيبوا بالعجز بعد سن الخامسة.

ويرجع السبب في اختيار سن الخامسة كحد لتقسيم هذه الفئات، إلى افتراض مؤداه أن من يفقد بصره – جزئيًا أو كليًا – قبل سن الخامسة لا يمكنه الاحتفاظ في كبره بالصورة البصرية السابقة على فقده للإبصار ***(عبد الحي محمود حسن صالح، ١٩٩٩م، ص١٠٣) (لطفى بركات أحمد، ١٩٧٨، ص٢٣)***.

وهكذا فإن تصنيفات كف البصر قد تنوعت من حيث المعايير التي استخدمت في التصنيف، فمنها من اعتمد على درجة وشدة الإعاقة، ومنها من اعتمدت على السن عند حدوث الإعاقة، ومنها التصنيفات التي اشتملت على المعيارين معًا.

زمن الإعاقة بفقد البصر:

قد يولد الأفراد المعاقون بصريًا مصابين بهذه الإعاقات، أو قد يصابون بالإعاقات البصرية بشكل كلي أو جزئي في أي وقت لاحق من حياتهم. والحالة القصوى للإعاقة البصرية هي تلك الحالة التي يفقد فيها الشخص الإبصار كليًا منذ الميلاد.

وطبقًا لبعض الملاحظات التي سجلها "زلتون توث Zolton Toth" وآخرون فإن الأشخاص الذين يفقدون إبصارهم قبل سن الخامسة

تقريبًا لا يحتفظون بصورة بصرية تقريبًا بشكل مفيد، وتأكدت هذه الملاحظات بعد ذلك من خلال دراسات أخرى قام بها "شلاجل Schlaegel" أوضحت أن الصورة البصرية تميل إلى الاختفاء إذا حدث فقد البصر قبل سن يتراوح بين الخامسة والسابعة.

وقد أوضحت هذه الدراسات أيضًا أن الأفراد الذين لديهم أقل درجة من الإبصار يكون لديهم أيضًا أقل عدد من الاستجابات البصرية. أما الدراسات العديدة التي أجريت على تحليل محتوى الأحلام عند الأكفاء والتي استعرضها "بلانك Blank" فإنها تؤيد أن الفترة الحرجة للاحتفاظ بالصورة البصرية في الأحلام توجد إذا حدث فقد البصر في سن يتراوح بين الخامسة والسابعة.

ومن ثم فإن الأطفال الذين يفقدون بصرهم كلياً أثناء السنوات الأولى المبكرة من حياتهم لابد من النظر إليهم أيضا على أنهم يقعون ضمن الحالات المتطرفة. أما الأطفال الذين يفقدون بصرهم كليًا أو جزئيًا بعد سن الخامسة فقد يحتفظون بإطار بصري إيجابي وفعال بدرجة أو بأخرى.

مثل هؤلاء الأشخاص يستطيعون – على سبيل المثال – ملاحظة شيء ما عن طريق اللمس، ويكونون فكرة بصرية عن هذا الشيء تقوم على خبراتهم البصرية السابقة. بطبيعة الحال تكون الملاحظات البصرية لدى هؤلاء الأشخاص محدودة وتتوقف على درجة الإبصار المتبقية*(فتحي السيد عبد الرحيم، ١٩٩٠، ص ص٢٦٣-٣٦٤)*.

إن الشخص الذي يصاب بالعمى في سن الخامسة، وما قبلها؛ لا يستطيع الاحتفاظ بالقدرة على تصور تجاربه وخبراته السابقة بعكس الحال لدى الذين يصابون بالعمى بعد هذا السن. أي أنه كلما كانت الإصابة بالإعاقة البصرية في سن مبكرة، كلما كانت حصيلة الفرد وخبراته المتعلقة بتلك الحاسة المفقودة أقل. فالطفل الذي يصاب بالعمى منذ الولادة أو في سن الثالثة من عمره لا يكون لديه من الخبرات والصور الذهنية ما لدى طفل آخر أصيب بالعمى بعد الخامسة من عمره *(محمد عبد المؤمن حسن، ١٩٨٦م، ص٣٢)*.

وتتراوح السن الحرجة لحدوث الإعاقة البصرية بين الخامسة والسابعة من العمر، والطفل الذي يصاب بها في هذا العمر يكاد يتساوى مع من ولد فاقدًا للبصر، نظرًا لنزوع الصور والمعلومات البصرية التي اكتسبها إلى التلاشي التدريجي من مخيلته وذاكرته بمرور الأيام. ومن ثم يعتمد بشكل كلي إلى حد كبير على تجاربه وخبراته التي يكتسبها عن طريق الحواس الأخرى في تفهم العالم المحيط ***(عبد المطلب أمين القريطي، ١٩٩٦م، ص١٩٢)***.

إن الأشخاص الذين يصابون بالعمى مبكرًا ربما يكونون أكثر توافقًا على المستوى الشخصي والاجتماعي، وأكثر شعورًا بالرضا من أولئك الذين يصابون بالإعاقة البصرية متأخرًا؛ نظرًا لأن أفراد الفئة الأولى غالبًا ما يسخرون حواسهم الأخرى المتبقية، ويدربونها بشكل متواصل كبدائل لحاسة البصر، ويتكيفون مع إعاقتهم كأمر واقع، على العكس من أفراد الفئة الثانية الذين يستغرقون وقتًا أطول حتى يصلوا إلى هذا التكيف ***(فتحي السيد عبد الرحيم وحليم بشاي، ١٩٨٠م، ص٥٧١)***.

تعويض الحواس لدى المكفوفين :

يعتقد البعض في عملية التعويض الحسي أو العقلي للطفل الكفيف، ولكن الدراسات العلمية أثبتت أن حدة الحساسية لا يتفوق فيها المكفوفون على المبصرين. وفيما يخص التفوق العقلي الذي ينسبه البعض خطأ للمكفوفين، فقد بينت دراسات "بياجيه Piaget " أن المكفوفين الذين يبدون متفوقين عقليا على المبصرين في نظر العامة يتعرضون إلى تأخر في النمو العقلي يتراوح بين سنتين إلى ثلاث سنوات وأن نسبة التخلف العقلي أعلي عند المكفوفين عنها عند المبصرين. ***(محمد عبد المؤمن حسن، ١٩٨٦م، ص ٣٠)***.

وترى الباحثة: أن دراسة "بياجيه Piaget " كانت بمثابة هزة عنيفة، غيرت منظومة من المفاهيم والتصورات والتي كانت قد رسمتها أذهان عامة الناس، حول تمتع الأفراد المكفوفين بقدرات وإمكانيات

خارقة للعادة، ولذلك جاءت نتيجة الدراسة العلمية مغايرة تماما لفكرة العامة من الناس.

وهناك مفهوم خاطئ لدى الكثير من الناس بأن المكفوفين يتميزون بحاسة عالية للمس، غير أن الحقائق تشير إلى أن المكفوفين ليسوا أكثر حدة من المبصرين في حاسة اللمس، وأن زيادة حساسية اللمس لديهم ترجع إلى التركيز والتدريب والمران أكثر من أي شئ آخر. ***(رمضان محمد القذافي، ١٩٩٤م، ص ١٣٠).***

وعلى رغم ما للقنوات الحاسية الأخرى (كاللمس والسمع) من أهمية تزويد المعاقين بصريا ببعض الإدراكات والمعلومات المفيدة عن بيئاتهم، فإنها لا يمكن أن تغنيهم أو تعوضهم تماماً عن حاسة البصر. ***(عبد المطلب أمين القريطي، ١٩٩٦م، ص ١٧٤).***

ومن الدراسات التي تهدم فكرة التعويض الحسي من أساسها، تلك الدراسة التي قام بها "لطفي بركات وسيد خير الله" عن سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته، وتبين أن ٣٦ % من المعلمين في مدارس المكفوفين و ٢٤ % من نظرائهم في المدارس العادية مازالوا يعتقدون في تمتع الأطفال المكفوفين بما يسمي الحاسة السادسة. وتبين الدراسة كذلك أن كل ما يحدث هو عبارة عن التدريب الدائم على استخدام الحواس المتبقية التي يضطر الكفيف إلى استخدامها. ***(محمد عبد المؤمن حسن، ١٩٨٦م، ص ٣٠).***

دور حاستي السمع واللمس في حياة الكفيف:

إن الحواس هي النوافذ التي نطل منها على العالم الخارجي، وبيان ذلك: أن التعلم عند الغالبية العظمى من الناس غير ممكن بدون الحواس، فعلى الرغم من العلم قد توصل إلى آلاف الحواس الصناعية، فإن هذه الحواس في النهاية لابد وأن تؤول إلى حواسنا الأساسية والمعروفة (عبد الوهاب محمد كامل ١٩٩٤م، ص ٧١).

وعندما يفقد الإنسان حاسة من حواسه فإنه يضطر إلى الاعتماد على حواسه الأخرى الباقية وتنمية حساسيتها، وفي حالة كف البصر، لا

يستطيع الإنسان أن يرى؛ يتحتم عليه عندئذ أن يعتمد على حواسه الأخرى، فلابد أن يدرس ويحلل بتفصيل عميق إلى حد كبير اعتمادًا على حواسه الأخرى، فتنمو القدرة على الملاحظة وهذا كله ينمي عنده يقظة ذهنية، وينطبق هذا على كثير من المكفوفين ***(مايسة أنور المفتي، ١٩٧١م، ص ١٧)***.

وترى الباحثة أنه لا يمكن دراسة خصائص الإعاقة بعيدًا عن دور الحواس؛ إذ لا يستطيع أحد أن ينكر الدور الفعال والحيوي الذي تلعبه الحواس في أمور الحياة اليومية جميعها وكذلك في عملية التعلم. ومن الحواس الرئيسة لتيسير هذه العمليات كلها: حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس، وهذا الحصر لا يقلل من أهمية الحواس الأخرى، ولكن ما تهدف إليه الدراسة هو إلقاء الضوء على أهمية تلك الحواس الثلاث:

١- حاسة البصر:

إن حاسة البصر من أهم وأنفع الحواس كلها، إذ يتوقف عليها معظم ما يملك الفرد من تمييز وانتباه وإدراك. وتعتبر مقلة العين في تكوينها جزءًا من الدماغ، تشترك معه أجزاء خارجية لحفظها ومساعدتها على القيام بوظيفتها؛ فالعين هي منفذ الدماغ إلى العالم الخارجي ونافذته لمعرفة ما يحيط به من عوامل وإدراك ما يقابله من تأثيرات خارجية، كما أن العين هي منفذ الدماغ إلى الخارج، نجدها أيضًا منفذًا داخليًا للجسم. ***(عبد الفتاح عثمان، ١٩٨١م، ص ٤٦)***.

إن البصر من أهم الحواس وأكثرها إثارة وثراء؛ حيث إن ثلثي المعلومات التي تأتينا عن العالم تصلنا عن طريق الجهاز البصري. ***(رمضان محمد القذافي، ١٩٩٤م، ص ١٢٦)***.

٢- حاسة السمع:

إن السمع كالإبصار تمامًا - يتيح لنا الفرصة للتعرف على التغيرات الصادرة حولنا برغم أن اعتمادنا على حاسة السمع أقل بكثير من اعتمادنا على حاسة البصر. ***(ألفت حقي، ١٩٩٨م، ص ٣٥)***.

وترى الباحثة: أن السمع يمثل الأولى لدى الأشخاص المكفوفين حيث يعتبر أكثر الحواس المتبقية ثراءً بالمعلومات؛ لذلك يوليه الشخص الكفيف أهمية خاصة من خلال التدريب الدائم والتركيز الشديد حتى يستطيع إدراك المثيرات المحيطة به، ويبدو ذلك واضحًا عندما تلقي بحديث إلى شخص كفيف حيث تجد رأسه قد اتخذت زاوية ووضعًا خاصًا؛ بحيث تكون الأذن في مواجهة مصدر الصوت، وهذه تعد إحدى اللزمات الحركية للمكفوفين بوجه عام.

إن حاسة السمع تعتبر من أنشط الحواس عند الشخص الأعمى، فهو يعتمد عليها اعتمادًا كبيرًا في إدراك ما يحيط به، وتحتل الخبرات السمعية المركز الأول بين أنواع الخبرات التي يحصل عليها الأعمى، إلا أن السمع عنده يختلف عنه عند المبصر، فهو يسمع الصوت ولكن يصعب عليه أن يدرك ماهيته ومصدره، كذلك العلاقة بين الصوت والمصدر الذي ينبعث منه، والصوت الذي ينبعث من مصدر لم يلمسه ويتحسسه لا يعني شيئًا بالنسبة له، وكما أن السمع يعطيه فكرة عن مقدار بعد الشيء واتجاهه، ولكنه لا يعطيه أي معلومات عن طبيعة هذا الشيء وفائدته الأساسية، وبذلك فإن فائدة السمع بالنسبة للشخص الأعمى تنحصر في التفاهم والمعلومات الشفهية. ***(عبد السلام عبد الغفار ويوسف الشيخ ١٩٨١م، ص ١٣٢).***

٣- حاسة اللمس:

حاسة اللمس تضم الحساسية الجلدية (الجلفانية) والتي تنقسم إلى أربعة أنواع من الإحساسات:

أولاً : الإحساس بملمس الأشياء والضغط عليها.

ثانيًا : الإحساس بالألم.

ثالثًا : الإحساس بالبرودة.

رابعًا : الإحساس بالسخونة.

وتختلف مناطق الجسم من حيث تعدد النقط اللمسية، فهي كثيرة في الأعضاء الأكثر استعمالاً من غيرها في معالجة الأشياء واختبارها

كأطراف الأصابع واللسان. والتنبيه اللمسي تنبيه ميكانيكي، أما التنبيه التذوقي فهو تنبيه كيميائي *(يوسف مراد، ١٩٧٩م، ص ٦٣)*.

وثمة مفهوم خاطئ لدى الكثير من الناس: وهو أن المكفوفين يتميزون بحاسة لمسية عالية، غير أن الحقائق تشير إلى أن العميان ليسوا أكثر حدة من المبصرين في حاسة اللمس، وأن زيادة الحساسية في اللمس لديهم ترجع إلى أسباب التركيز والتدريب والمران أكثر من أي شيء آخر *(رمضان محمد القذافي، ١٩٩٤م، ص ١٣٠)*.

إن الذين يعانون من كف البصر كليا لابد أن يبنوا مفاهيم عن العالم الخارجي عن طريق الحواس الباقية لديهم، فلابد مثلاً أن يعتمدوا على حاسة اللمس وعلى الإدراك السمعي، والخبرات الناتجة عن الإحساس بالحركة، ويشرح "ديدروت Diderot" ظاهرة تعويض الحواس بحاسة اللمس – بأن الإبصار هو نوع من اللمس الممتد إلى أشياء بعيدة المدى، وأن اللمس يعطينا صورة عن المعالم الخارجية فتنطبع في نفوسنا *(مايسة أنور المفتي، ١٩٧١م، ص١٩)*.

وتميل العلوم الحديثة إلى إضافة إحساسات أخرى، أي تعتمد على أكثر من حاسة واحدة من الحواس الخمسة المعروفة لدينا، ومنها الإحساس بالاتزان والإحساس بالضغط والإحساس بالألم والإحساس بالحرارة والبرودة وبالحركة والإحساس الكيميـاوي *(ألفت حقي، ١٩٩٨م، ص ٣٤)*.

ومن الجوانب التي تحتاج إلى اهتمام القائمين على تربية وتعليم الأطفال المعاقين بصريًا، هذا الجانب الذي يختص بتنمية المهارات الحركية لدى هؤلاء الأطفال، حيث إن هذا الطفل يعتمد على الصوت كمصدر للحصول على المعلومات، كما يعتمد على اللمس لتمييز شكل وحجم الأشياء، وينبغي أن توضع أدوات تقويمية مناسبة للكشف عن استعدادات الأطفال المعاقين بصريًا باستخدام هذين المحكين (السمع واللمس)، وليس ذلك فحسب، بل إنه من الضروري تنمية هذين المصدرين من مصادر المعرفة والإدراك لدى الطفل؛ لكي يستطيع هذا الطفل أن يعالج الواقع معالجة فعالة. ولكي يمكنه استثمار مدركاته

القادمة إليه من هذا الطريق استثمارًا كاملاً *(أحمد السعيد يونس ومصري عبد الحميد حنوره، ١٩٩١م، ص ٦٩)*.

وترى الباحثة: أن أسلوب القراءة والكتابة بطريقة "برايل" للحروف البارزة يعد تدريبًا حركيًا لمسيًا وعقليًا، لذلك ليست هناك حاسة ضعيفة لدى شخص وقوية لدى أخر، بل هناك حاسة مدربة وأخرى غير مدربة.

إن العملية التي يتم بها الإدراك المكاني عند المكفوفين تجري بالأساس من خلال اللمس، وهي الحاسة الوحيدة لاكتساب المدركات المكانية بالنسبة للأشخاص المكفوفين كليا. حيث يميز "هيلز Hells " بين نمطين من إدراك الأبعاد المكانية من خلال اللمس وهما :

- *النمط الأول :* يطلق عليه لمس المحيط Enveloping Touch وفيه يتم تطويق الأشياء الصغيرة والسماح لإحدى اليدين أو كلتيهما بملاحظة الشيء موضوع اللمس.

- *النمط الثاني :* اللمس التحليلي Analytical Touch وهو ينطبق على الأشياء الكبيرة التي تمتد إلى أبعد من المدى المحدود لإحدى اليدين أو كلتيهما، وفي هذه الحالة تتبع الأيدي من خلال الحركة شكل الشيء. وهذه الانطباعات تكون فكرة لمسية عن الشيء. *(فتحي السيد عبد الرحيم، ١٩٩٠م، ص ٢٩١)*.

وتري الباحثة: أن تكنيكات اللمس لدى المكفوفين تكون إما بشكل كلي عند تلمس الأشياء الصغيرة والدقيقة، وإما بشكل جزئي تتابعي أثناء تلمس الأجسام الكبيرة إلى حد ما.

التنشئة الاجتماعية للمكفوفين Socialization :

إن تشخيص الطفل من حيث الصعوبات الذهنية والانفعالية والحسية أو الجسمية هو تعيين لعامل ضاغط قوي من شأنه أن يؤثر على النمو المستقبلي للأسرة على كل المستويات، علماً بأنه في كل دورة من مراحل الحياة تتغير المطالب الأسرية، وفي كل الحالات فإن الأسرة ينبغي أن تقبل عجز الطفل وإعاقته، وبالنسبة لمعظم الآباء فإن تشخيص طفلهم بأنه معاق يؤدي بهم إلى فترة من الاكتئاب والحداد، وهذه العملية معقدة ومرتبطة بحقيقة أن الطفل لم يمت، ولكن صورة الطفل التي حلموا بها هي التي ماتت، وربما استمرت فترة اكتئاب الأم وقلقها لمدة طويلة من الزمن، وفشل الأم في الاندماج في طقوس ومظاهر الرعاية العادية لوليدها، يجعل هذا الوليد العاجز بصفة خاصة عرضة للأذى والخطر والانتهاك **(علاء الدين كفافي، ٢٠٠١م، ص ص ٥٦، ٥٧)**.

كما أن مولد طفل معاق في الأسرة من شأنه أن يؤثر على حياة الأسرة ويهدد استقرارها ومستقبلها، ويزيد من الضغوط النفسية للوالدين ولكل فرد فى الأسرة، فبعض الأسر ترفض الإعاقة ولا تتقبلها، بل وتنكر وجود هذا الطفل المعاق في حياتها وتحاول عزله عن الأسرة والمجتمع إلى حد أن بعض الآباء قد يخفون ابنهم المعاق عن الآخرين مما يؤثر على صحته النفسية أكثر من تأثير الإعاقة نفسها **(رمزية الغريب، ١٩٨٢م)**.

ويشير علاء الدين كفافي (٢٠٠١م) إلى أن الطفل المعاق، في أشد الحاجة إلى حلقة الوصل التي تربط بينه وبين أخوته وأصدقائه **(علاء الدين كفافي ٢٠٠١م، ص٩٤)**.

وللوالدين دور هام في إيجاد بل وخلق حلقة الاتصال هذه بين الأخوة والأخوات، وهذا لا يجيء إلا إذا كان الوالدين أنفسهم على قدر كبير من التفهم لهذا الطفل، وتقبلهم إياه، فحسن معاملة الوالدين لهذا الطفل تورث للأبناء، وتتوقف معاملة الأخوة لأخيهم المعاق بالدرجة الأولى على توافق الآخرين في الأسرة **(علاء كفافي، ٢٠٠١، ص٩٤)**.

ويشير (شابيرو Shapiro، ١٩٨٣) فى (علاء كفافي، ٢٠٠١) إلى أن أهم الضغوط التي تواجه أسر الأطفال المعاقين في مرحلة الطفولة، هي

الموازنة بين العناية الخاصة التي يحتاجها طفلهم المعاق وبين المسئوليات الأخرى تجاه الأبناء العاديين والأسرة والمجتمع. كما أشار كل من جالروكسر وسكارفمان(Gallagher, Croos Scharfman, 1981) فى (علاء كفافي، ٢٠٠١م) إلى أن أهم الضغوط التي تعاني منها أسر الأطفال المعاقين تدور حول تغير حياة الأسرة الاجتماعية والترفيهية، وأن القدرة على التكيف مرهون بوجود تفاهم ودعم قوي بين الأزواج وبين أصدقاء الأسرة.

ويشير علاء كفافي (٢٠٠١م) إلى أن الضغوط والمعاناة الانفعالية والمالية التي يسببها الطفل المعاق تكون عالية جداً. ويشير (بكمان Beckman ، ١٩٨٣م) في (علاء كفافي، ٢٠٠١م) أن مطالب الرعاية الإضافية الاجتماعية لهؤلاء الأطفال قد سجلت باعتبارها أكثر البنود التي تسبب الضغوط عند أباء المعاقين فى فترة المهد. مما قد يشعر الأباء بالذنب والغضب فى نفس الوقت إذا أدركوا أن هذا الغضب موجه إلى الطفل وهو وليد لا حيلة له أكثر مما هو موجه نحو المطالب الملقاة على عاتقهم كآباء (**علاء كفافي، ٢٠٠١م، ص٥٨**).

كما أن المشكلات الاجتماعية للكفيف تنحصر في الصعوبات التي يواجهها في التعامل مع المجتمع في محاولته للتكيف معه، فقد ينظر المحيطون به إليه على أنه عبء أو مسئولية جسيمة ملقاة على عاتقهم؛ مما يعرضهم في كثير من الأحيان للنبذ (الرفض) Rejection والعزلة الاجتماعية عن الآخرين، كما لا يستطيع الكفيف أن يتحكم في البيئة المحيطة به – لأنه لا يعرف المكونات المادية لها، ومكانه هو منها كما يفعل المبصر وبنفس السرعة، لكن البديل غالباً يكون في المعلومات التي يحصل عليها عن طريق السمع أو الشم أو اللمس، وفي هذه الحالة تكون المعلومات التي يحصل عليها غير كاملة وغير ذات قيمة كبيرة بحيث تسمح له بالتحكم في بيئته وفي نفسه بالنسبة لها.

كما تشكل الحركة وقدرته عليها أهم المشكلات الاجتماعية التي يعيشها الشخص الكفيف؛ لأن المحيط الذي يعيش فيه وخاصة البيئة الخارجية غير معدة له، فما زال مجتمعنا العربي غير معد للكفيف

إعدادا يسمح له بالحركة المناسبة، كما تواجه الكفيف مشكلة التكيف مع عالم المبصرين، هذا العالم الذي يفوق إمكاناته ويشعره دائما بالعجز وقلة الحيلة *(محمد أحمد عبد الهادي والسيد متولي العشماوي، ١٩٨٨م، ص ٦٢)*.

إن الأطفال المكفوفين يقضون حوالي ٥٦ % من أوقاتهم وهم يلعبون بمفردهم، وكما أنهم يجدون صعوبة بالغة في التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ولقد صنف الطلاب المكفوفون إلى مستويات حسب كفاءتهم الاجتماعية وقدرتهم على التواصل: فهناك حوالي ٦٢ % من الطلاب المكفوفين لا يمكن التمييز بينهم وبين زملائهم من المبصرين، ولقد اختلفت تقديرات كل من الآباء والمعلمين في التمييز بين المستويات المختلفة من المهارات الاجتماعية.

(Buhrow , et al 1998, pp 503 – 511)

ومن الملاحظ أن الاختلاف بين تقديرات كل من الآباء والمعلمين يرجع إلى درجة التفاعل التي تتحقق أثناء تعاملهم مع الطالب الكفيف، فالأب يصنع تقديره من خلال منظور الأبوة ودرجة التفاعل والإحساس المشترك، وأما المعلم يصنع تقديره من خلال منظور المجال المدرسي، لذلك فإن المهارات الاجتماعية التي يستخدمها الفرد بصفة عامة داخل المناخ الأسري تختلف في درجتها وطبيعتها عن المهارات والتفاعلات الاجتماعية والتواصل داخل المناخ المدرسي.

إن الأسرة عندما تفشل في توفير المناخ الذي يساعد على تعليم أفرادها كيف يحققون التوازن بين الحاجات الاتصالية بالآخرين والحاجات الاستقلالية عنهم، فإن الباب يكون مفتوحاً لمختلف صور الاتصال الخاطئ، والذي ينتهي باضطراب جو الأسرة وتحويلها لبؤرة مولدة للاضطراب، بل وإصابة بعض أفرادها بالاضطراب. *(إعلاء الدين كفافي، ١٩٩٩م، ص ١٥٩)*.

إن الآباء والأمهات في كثير من الأسر يعتبرون كف البصر هو نهاية المطاف بالنسبة للشخص الكفيف، حيث يتجه تركيزهم في تربية

أبنائهم من المكفوفين إلى تعليمهم كيفية الاعتماد على أنفسهم وحماية أنفسهم وتوفير الاحتياجات البيولوجية اللازمة لنموهم، وقد لاحظ "كرايج كريستوفر" أن هؤلاء الأسر لم تكن لديهم أولوية تعليم أبنائهم القراءة والكتابة، في حين كانت النسبة الأقل من هذه الأسر تضع تعليم القراءة والكتابة وتحقيق مستوي ثقافي وعملي لأبنائهم على قائمة أولوياتهم.

(Criag , 1996 , pp , 194 -200)

لذلك فإن التفاعل بين الوالدين وبين الطفل له انعكاساته على رسم ملامح شخصية الطفل، إذ ثمة علاقة ارتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية المختلفة وبين أنماط الشخصية لدى الأبناء، كما تؤكد "انستازي" على الدور الكبير الذي تلعبه أساليب التنشئة الوالدية في إرساء دعائم شخصية الطفل، وترى أن السمات المميزة لشخصية الطفل قد تستمر معه حتى سن متقدم. فاتجاهات الأمن والطمأنينة مثلاً تميل إلى الاستمرارية حتى ولو واجه الفرد أحداثاً تؤدي إلى إحباطات شديدة قاسية. كما تميل اتجاهات عدم الثقة إلى الاستمرار حتى ولو واجه الفرد مواقف يشعر فيها بالارتياح والأمن والطمأنينة.

(Anne Anastasi, 1986, p. 251)

كذلك فإن الاتجاهات الوالدية لها أثار سلبية على نمو الطفل النفسي وتوافقه الاجتماعي، حيث إن الطفل الذي يبدأ ينظر لنفسه على أنه غير مرغوب فيه أو منبوذ من أفراد الأسرة ربما يمتد في حياته شعور عميق من عدم الاستقرار، بل ويصبح في حالة دائمة من الاضطراب، وقد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظرته النفسية بعد ذلك، حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة في الكبر، فالخبرة المبكرة ذات تأثير بارز أحياناً في نمو شخصية الفرد. ***(محمد على حسن ١٩٧٠م، ص ١٩١).***

ولذلك فإن الاتجاهات السلبية نحو الإعاقة والمعاق ليست قاصرة على الأسرة، عندما يرغب الكفيف في الاحتكاك بشكل مباشر بالمجتمع

سواء في المدرسة أو النادي أو المسجد أو الشارع فكثيراً ما يواجه بالعديد من المواقف المحبطة والتي تصيبه باليأس والاكتئاب.

إن عملية التفاعل بين الطفل ووالديه تدعم عملية النمو لديه، وخاصة وأن عملية الرؤية تسهل مشاركة الأطفال في التفاعلات الاجتماعية، وأيضاً تسهم الرؤية بقدر كبير من المعلومات التي يحصل عليها الطفل عن طريق الحواس الأخرى.

كما أن غياب الاتصال البصري بين الطفل الكفيف ووالديه ينتج عنه ضعف المشاركة والاهتمامات بينهم، وكذلك عدم اتساق سلوكيات الطفل الكفيف مع تغيرات المناخ الأسري، وهذا يعد إحدى معوقات عملية التواصل الاجتماعي. وقد لاحظ "بيرد ساميرا ما جور" أن الأطفال المعاقين بصرياً عندما يستمعون إلى شيء أو يكون المدخل السمعي هو المتاح فقط، فإنهم يبدو عليهم الثبات وجمود تغييرات الوجه، وهذه الملامح يدركها الآباء وكذلك الأمهات على أنها عدم اهتمام من قبل الابن الكفيف، وأنهم لا يرغبون التفاعل والمشاركة مع والديهم، مع العلم بأن هؤلاء الأبناء المكفوفين يستخدمون الثبات كاستراتيجية لكي يتتبعوا المنبهات السمعية بشكل أكثر إرهاقاً، وتلك الصفة كثيرا ما تجعل مجال الاتصال والتواصل الاجتماعي لدى الكفيف محدوداً وضيقاً.

(Baird et al, 1997 , pp 467 – 483)

إن المشاكل الأسرية تبدأ في الظهور ولاسيما عندما يكون الوالدان غير مستعدين لتقبل الإعاقة البصرية كحقيقة واقعية ربما تكون مصدر إزعاج في حياة الأسرة، إذ يؤثر عليها كصدمة تخلف وراءها مشاعر وأحاسيس سلبية تكون بمثابة قاعدة اجتماعية، تشكل إرادياً أولا إرادياً سلوك الأم تجاه طفلها الرضيع، وهذا يؤدي بدوره إلى عصبية الأم والتي يحتمل أن تنتقل بالتالي إلى طفلها الرضيع فيصبح هو أيضاً عصبياً، وهذا يستلزم منها أن تكون في حالة نفسية هادئة أثناء الرضاعة، ومن الأمر الخطير أن ترضع وليدها وهي حزينة باكية أو ساخطة أو ناقمة لتشعره أنها معه بعواطفها وحنانها إلى جانب تلبية حاجاته الأولية ***(لطفي بركات أحمد، ١٩٨١م، ص ص ١٤٣ – ١٤٤)***.

إن نظرة المجتمع إلى المعاقين بصريا نظرة سلبية تتضمن ضعفهم واعتمادهم على الآخرين، وغالباً ما يوضعون في مواقف اجتماعية أقل تقديراً واستحقاقاً. لذلك فإن هناك أربعة مكونات مستقلة نسبياً لمدركات المبصرين للأشخاص المكفوفين، وهذه المكونات هي :

[١] إدراك المبصرين لفقد البصر على أنه يمثل حالة من الإحباط الشخصي.

[٢] مفهوم فقد البصر كمتغير مميز ومستقل عن الاتجاهات نحو الأفراد المكفوفين.

[٣] استعداد المبصرين للاتصال المتبادل وتكوين العلاقات مع المكفوفين.

[٤] الفروق في المشاعر فيما بين المبصرين في التفكير تجاه المكفوفين أو العلاقات المتبادلة معهم. ***(فتحي السيد عبد الرحيم، ١٩٩٠م، ص ص ٣٠٣ – ٣٠٦)*** .

كذلك يجد الشخص المعاق بصرياً صعوبة في رؤية ما يشير إليه الشخص الآخر أو حركات عينيه أو تعبيرات وجهه أو فهمه لحوار الآخر. إضافة إلى أن الشخص يجد صعوبة في توجيه أية إشارات إلى عين الشخص الآخر، ولا يستطيع مواصلة تواصله مع الشخص الآخر، بالرغم أن الشخص الكفيف يستطيع استخدام تعبيرات وجهه الرئيسة، إلا أن بعض المواقف الاجتماعية لا يجد الشخص الكفيف الإشارات والتعبيرات المناسبة التي يجب أن يظهرها خلال تلك المناسبة، كذلك قد يكون من الصعب على الأشخاص الآخرين التفاعل الكامل مع المكفوفين في تلك المواقف، لذلك فإنهم كثيراً ما يتعرضون إلى المواقف المحرجة والمحبطة. ***(Frame , 2000, PP. 155 – 171)***

لقد لاحظ المعالجون والمرشدون النفسيون أن الأفراد المكفوفين سواء أكانوا في مرحلة الطفولة أو المراهقة، فإنهم يظهرون عجزاً في المهارات الاجتماعية بما يعوق التفاعل الاجتماعي الفعال بينهم وبين المحيطين بهم.

ولقد اتضح هذا القصور بشكل ملحوظ في بعض المهارات اللفظية، وبخاصة لدى الطلاب والتلاميذ الذين يقيمون إقامة داخلية في

المدارس، وتفسير ذلك أن الخبرات اللفظية والتراكيب اللغوية والحس الاجتماعي لم ينتقل إليهم من أسرهم بشكل أكثر فعالية.

(Van Hasselt & . Vincent Bram, 1983 , PP . 1349).

لقد أسفرت العديد من الدراسات عن وجود فروق واضحة بين المراهقين من المعوقين بصرياً وأقرانهم من المبصرين، وذلك في مدى شبكات العلاقات الشخصية، حيث اتضح اتساع شبكات العلاقات لدى المبصرين عنها لدى المكفوفين، وكذلك كانت الفروق واضحة بين الذكور والإناث من المكفوفين، حيث كانت شبكات العلاقات الشخصية لدى الذكور أكثر اتساعاً وفعالية منها لدى مجموعة الإناث.

(Kef, Sabina, 1997, PP. 236 – 244)

ولذلك فإن هذه الفروق تعد أمراً طبيعياً حيث أن شبكات العلاقات يلعب البصر فيها دوراً هاماً؛ وذلك لما للبصر من فائدة عظيمة في تنظيم التفاعلات والمعلومات وكذلك توظيف الإشارات والتعبيرات والإيماءات أثناء التفاعل مع الآخرين، ولذلك أهميته في مشاركة الآخرين والتواصل معهم.

وكذلك الفروق الجنسية بين الذكور والإناث، قد ترجع إلى مدى الحرية المتاحة لكل من الأنثى والذكر، وكذلك طبيعة الأدوار التي يلعبها كل من الذكر والأنثى، وقد يزداد هذا الفارق في المجتمعات الشرقية أكثر من المجتمعات الغربية.

الأبعاد الأسرية والاجتماعية للإعاقة البصرية :

إن الإعاقة البصرية بأنواعها المختلفة تواجه بثلاث مراحل رئيسة :

- **صدمة الإعاقة :** سواء كان كف البصر عند الولادة أو مفاجئاً بعد الميلاد نتيجة مرض أو حادث، وفي هذه الحالة تصاب بحالة من الذعر خوفا من أن يكون بينها طفل كفيف، مما قد يواجه برد فعل عكسي من تلك الأسرة، فقد تعنف الطفل أو توبخه أو تعتبره وبالاً عليها.

- **تقبل الإعاقة** : بدرجات متفاوتة من قوة الإيمان تتقبل الأسرة وجود طفل كفيف بينها، فقد اقتضت حكمة الله ذلك، وقد يستسلم البعض للأمر، بينما يعمد البعض الآخر إلى الأخذ بالطفل إلى بعض الجنبات التي يمكن أن تضيء حياته المستقبلية، وتكشف ستار كف بصره.
- **التكيف مع الإعاقة** : فالإيمان بقضاء الله قد يفتح آفاقاً فكرية جديدة للأسرة في التعامل مع الطفل المعاق بصرياً والأخذ بيده للخروج مما حاق به ..... حامدين الله، وهم مأجورون على ذلك. ***(محمود عفان، ١٩٩٤م، ص ٢٧)***.

مسئولية الأسرة تجاه تكوين شخصية الكفيف :

إن مسئولية الأسرة تجاه طفلها إنما تحدده اعتبارات رئيسة متعددة منها ما يلي :

١- إذا أصبحت معاملة الأسرة لطفلها الكفيف معاملة عادية كالطفل المبصر، ففي هذه الحالة لا يكون نظام التربية مسئولاً عن أخطاء النمو، ومن ثم يمكن مقارنة نتائج التربية بين كل من المبصرين والمكفوفين؛ حتى يمكن الوقوف على الفروق الفردية عند كل منهم.

٢- عندما لا يكون النمو المنحرف في شخصية الكفيف نتيجة مباشرة لهذه الحالة، فإنه يكون غير مرتبط بتأثير البيئة على اكتساب صفات مثل التعالي وحب الذات، فهذه الصفات تحمل مضمون تأثير البيئة وتمثل التأثيرات الاجتماعية تبعاً للمواقف السلوكية للكفيف.

٣- وعندما توجد في البيئة أفكار خاصة عن الإعاقة البصرية فإن صفة هذه الأفكار ومدلولها يقع عليها اللوم في الانحراف الموجود في نمو الكفيف، ولا يمكن محاسبته على الاختلاط والتعامل مع المبصرين، فهم لا يدركون ماذا يقاس منه وماذا ينتظره الكفيف منهم. ***(الطفي بركات أحمد، ١٩٨١م، ص ١٤٦)***.

٤- إن كف البصر يتعدى تأثيره شخصية الكفيف وليشمل الأسرة، ومما لاشك فيه أيضاً أن الأسرة لا ترحب ولا تقبل بسهولة أن يكون بين أفرادها شخص كفيف، فالأسرة تعلق الأمل على إنجاب طفل سوي، فإذا ما أصيب أحد الأطفال بأية عاهة فإن ذلك سيؤدي إلى تغيرات كثيرة في اتجاه الأسرة إزاء هذا الطفل، وهذا الاتجاه سيلازمه غالباً طوال فترة حياته وينعكس عليه. فيتكون لدى الطفل شعور الخجل والذنب وأنه موضع شفقة ورثاء من الغير. ***(صديق العوضي، ١٩٨٥م، ص ٨٩).***

ونرى أن الآراء السابقة قد أجمعت على موقف الأسر بشكل عام ورفضها لأن يكون بين أفرادها شخص كفيف، وأن هذا الشعور يمثل حادثاً صادماً للأسرة، وكذلك غالباً ما يختل توازنها لبعض الوقت حتى تتكيف بشكل أو بآخر مع هذا الحادث.

وفى دراسة ***سيد صبحى (١٩٩٨)*** التى هدفت إلى معرفة علاقة الكفيف بأسرته ومدرسته، أجمع أفراد عينة الدراسة من المكفوفون على حبهم للأسرة أكثر من المدرسة برغم شعور بعضهم بالرفض المقنع من قبل آبائهم، أما بالنسبة للمدرسة فهم يعترفون بأنها ساعدتهم على التفاعل والاختلاط بالمجتمع.

إن التفاعل بين الآباء والأطفال المكفوفين يلعب دورا هاما في تنمية قدراتهم ومهاراتهم وبخاصة المهارات اللغوية، فمن خلال الاندماج والتفاعل الاجتماعي الفعال بين الآباء والأطفال المكفوفين يتعلم الأطفال طرقاً مختلفة ليبدءوا الاتصال والتفاعل مع غيرهم، كما يتعلمون كيفية التعبير عن رغباتهم وأفكارهم***(Kekelis, Limdo, Philip, 1996 p.1)***

هناك علاقة ارتباطية قوية بين أسلوب المعاملة الوالدية الذي يتسم بالقسوة والسيطرة وبين انخفاض مستوى تقدير الذات لدى الأبناء المكفوفين، كما أن العلاقة أرتباطية وقوية بين أسلوب معاملة الوالدية الذي يتسم بالود والتعاون وارتفاع مستوى تقدير الذات لدى الأبناء الأكفاء ***(Cardinali, Gina ; D`ALLuva, Tona, 2001, pp. 61-71)***

إن على الأسرة أن تتقبل واقع الإعاقة وتغيرها إلى واقع التكيف معها، بمعنى أن تعد الأسرة نفسها لمواجهة هذا الأمر، ويمتد هذا التقبل والاقتناع بقضاء الله إلى تعبئة أفراد الأسرة والبيئة المحيطة من أصدقاء وأقارب ومعارف وجيران، فقد ولد الطفل الكفيف حاملاً كل مقومات الإنسان، من الحس والتأثير بالبيئة المحيطة، وعليه فيجب أن تعد الأسرة نفسها لمواجهة تلك الحالة منذ بدايتها إلى ما يشاء الله. ***(محمود عنان، ١٩٩٤م، ص ٦٨).***

ولذلك فإن معاملة الوالدين للطفل تتوقف على عوامل شتى شعورية ولا شعورية، منها استعدادهما الفطري، نوع التربية والثقافة التي نشأ عليها، وما مر بهما من تجارب في مراحل النمو المختلفة ومبلغ توافقهما في الحياة الزوجية ونظرتهما إليها. وقد يقال: إن جهل الوالدين بأصول التربية الصحيحة عامل هام في سوء سياستهما ومعاملتهما لأطفالهما، غير أن الدراسات الإكلينيكية الحديثة أوضحت أن النضج الانفعالي للوالدين أخطر العوامل جميعها في تنشئة الأطفال. فالأب والأم لا تعنيهما ثقافتهما السيكولوجية وعلمهما بشروط التربية السليمة إن لم يكن لديهما قدر كاف من النضج الانفعالي؛ يعينهما على احتمال أعباء الأبوة وتكاليفها وتبعاتها وواجباتها وما تتطلبه من تضحية وإنكار للذات ورفق وحزم وحب جواد غير أناني أي: يعطي ولا يأخذ. ***(أحمد عزت راجح، ١٩٩٥م، ص ص ٦٢٥ - ٦٢٦).***

إن العلاقة قوية بين الشعور بالاغتراب لدى أبناء المكفوفين وبين الاتجاهات الوالدية والمتمثلة في الاتجاه نحو التسلط والحماية الزائدة والإهمال وإثارة الألم النفسي والتفرقة كما يدركها الأبناء المكفوفون، وأنه كلما زاد إدراك الكفيف للاتجاهات الوالدية السابقة كلما زاد شعوره بالاغتراب ***(رمضان عبد اللطيف محمد، ١٩٩٠م، ص٢٩٨)***

وترى الباحثة أن أساليب المعاملة الوالدية والتي تنتظم على متصل من الرفض التام من جانب الآباء لأطفالهم وحتى نهاية هذا المتصل وهو أسلوب الحماية الزائدة، وإن كلاً منهما يعد طرفاً متطرفاً ومنحرفاً وغير سوي، له سلبياته على الطفل في مرحلة الطفولة وحتى

باقي مراحل حياته، وإن كانت صور هذه السلبيات التي تراكمت لديه تختلف من مرحلة نمو إلى أخرى.

إن الطفل "مرفوض" إذا كان أحد الأبوين يكرهه أو لا يريده. وهذا موقف يؤدي بالضرورة إلى عدم الوفاء باحتياجات الطفل للحنو والانتماء. أما الأطفال الذين يكرههم آبائهم كرهاً شديداً في بعض الأحيان، ولكنهم يحبونهم في أكثر الأحيان لا يعدون مرفوضين. حيث يؤكد علماء النفس أن النمط السلوكي للطفل المرفوض يعتمد قبل كل شيء على واحد أو أكثر من هذه العوامل:

[١] الرغبة في الانتقام من الناس للعداوة التي يبديها له الأبوان.

[٢] الرغبة في الفوز بالحنو أو على الأقل الاهتمام من الأبوين.

[٣] الشعور بالهوان والقلق نتيجة (الشعور بالرفض الوالدي ومن الخطأ بطبيعة الحال أن نعزو سلوك الطفل إلى واحد من هذه العوامل فحسب، فقد يكون شكلاً واحداً من أشكال السلوك قائماً على رغبة في كسب الانتباه، تضاف إليها رغبة في الانتقام. ***(مصطفى غالب، ١٩٧٩م، ص ١٦٣ - ١٦٤)***.

الموقف السلبي للأسرة نحو الكفيف :

إن ردود الفعل المباشرة من هذا الموقف السلبي ينعكس آثارها على شخصية الكفيف بصفة عامة في مجالاته المتعددة، ومن أهم النتائج المترتبة على هذه السلبية ما يأتي :-

[١] فقدان الشعور بالأمن والطمأنينة :

يفقد الطفل الكفيف خلال الموقف السلبي لأسرته الشعور بالطمأنينة وفقدان الشعور بالأمن، وممارسة أنماط من السلوك غير الاجتماعي، والميل إلى الانعزالية والعدوانية.

[٢] الوضع غير العادي للطفل الكفيف في الأسرة :

فالطفل الكفيف عادة لا يأخذ مكانه العادي مثل أخيه، فهو إما أن يدلل أو أن ينبذ، وهذا الوضع ينعكس أثره على سلوك الكفيف؛ فيظهر في سوء الخلق والحقد والكراهية والشعور بالدونية والقلق.

[٣] النقص في الخبرة :

في حالة إعطاء الأسرة لطفلها الكفيف اتجاهاً سلبياً عند التعامل وتحصيل الخبرة من الأشياء المحيطة به، فإن هذه السلبية تؤدي إلى إعاقة نموه طبيعياً واجتماعياً ونفسياً، وخلال هذا النمو تنمو جذور سلوك الأمراض الاجتماعية.

ولمواجهة مثل هذه السلبيات، يجب تحقيق أهداف التربية الاجتماعية للكفيف، وسبيل ذلك أن تأخذ الأسرة في اعتبارها الحقائق التالية:

[١] أن الإعاقة البصرية تحد بصفة جوهرية من الحياة العقلية لذلك؛ فيجب أن تكون الملاحظات الحسية هي القاعدة الأساسية للتربية العقلية للكفيف.

[٢] أن الطفل الكفيف يلم بما يحيط به في بيئته بمساعدة حواسه الباقية، وعن طريق الإدراك بهذه الحواس فإنها تكون مرهفة، وهذا يؤدي إلى إدراك، وزيادة الشعور بأهمية التحصيل في مجال السمع واللمس بصفة خاصة.

[٣] يجب أن تسعى الأسرة لكي يتمتع طفلها الكفيف بحياة سعيدة عن طريق التحرك واللعب في جماعة، لأن أي فترة من الحياة يقضيها الطفل في كآبة وانعزال تبقى كامنة بداخله مثل الظلال السوداء التي لا تختفي أبداً.

[٤] يجب أن تزود الأسرة طفلها الكفيف بالخبرات المتنوعة التي تساعده على الاعتماد على نفسه والاستقلال بذاته، وتسهيل تكيفه النفسي والاجتماعي.

[٥] يجب أن تراعي الأسرة العدالة في معاملة طفلها الكفيف وإخوته دون تمييز حتى لا يشعر الطفل بالدونية والنقص، ويؤكد هذا أحد رواد تربية المكفوفين في ألمانيا وهو "ستشي" حيث يقول: إن الرعاية الزائدة للطفل الكفيف من جانب الأسرة تؤدي إلى ضعف إرادته وتثبط همته في الاعتماد على نفسه.

[٦] يجب على الأسرة أن تهيئ بيئة الطفل الكفيف بأن تزيل الموانع من أمامه، وذلك لتدعيم حركته الذاتية بعيداً عن الأخطار، وحتى يتحرك بدون قلق أو تردد.

[٧] يجب على الأسرة أن تتيح لطفلها الكفيف فرصة اللعب مع زملائه المكفوفين والمبصرين؛ وذلك حتى يكتسب قدرة المواجهة وتقليل الاضطرابات النفسية والسلوكية، وكذلك يتعلم كيف يعتمد على نفسه وكيف يتواصل مع الآخرين. ***(لطفي بركات أحمد ١٩٨١م، ص ص ١٤٧ - ١٤٩).***

لقد أسفرت نتائج العديد من الدراسات التي استهدفت معرفة العلاقة بين الاتجاهات الوالدية كما يدركها (الأبناء المبصرون والمكفوفون) وعلاقتهما النفسي والاجتماعي إلى وجود علاقة طردية بين الاتجاهات الوالدية السالبة (القسوة، إثارة، الألم النفسي، التفرقة، التذبذب، الإهمال) وبين سوء التوافق الشخصي والاجتماعي الذي تعاني منه الكفيفة المراهقة بمعني: أنه كلما زادت ممارسة الآباء لهذه الاتجاهات غير السوية كلما زاد ذلك من عدم قدرة الكفيفة على الرضا عن نفسها والإحساس بذاتها. وأيضاً عدم القدرة على تكوين علاقات طيبة مع المجتمع. إلى شيوع الاتجاهات الوالدية التالية عند آباء وأمهات الكفيفات المراهقات وهي اتجاهات (التسلط - الحماية الزائدة - الإهمال - إثارة الألم النفسي - التفرقة). ***(قدرية إبراهيم الكيلاني، ١٩٨٠م).***

إن أسرة الكفيف يسودها جو من التشاحن وعدم الانسجام، وينعكس ذلك على أساليب معاملة الكفيف ومدى استجابته لهذه المعاملة والتي قد تأخذ صورة أو أخرى من الأنماط التالية: الإهمال أو الرفض أو القسوة، مما يصل به في النهاية إلى سوء التوافق وعدم تكيف الشخص الكفيف داخل مناخ أسرته. ***(Vicky Lewis, 1987 , p.10)***

اتجاه سلوك وتصرفات الوالدين:

إن الطفل الكفيف يولد ومعه كل مقومات الإنسان الكامل؛ فهو يحس ويتأثر بالحياة وبالناس وبالأشياء حوله، وينعكس أثر ذلك على حالته النفسية والصحية، وعلى ذلك فمن الواجب على الأسرة أن تضع في اعتبارها التوازن في معاملة وليدها منذ الصغر.

وتوجد ثلاثة أنماط رئيسة لسلوك الوالدين نحو الطفل الكفيف وهي:

١) تقبل ضعيف للطفل على أساس قصوره في إدراك ذلك بصرياً.
٢) الرفض بدلا من قبول الأمر الواقع.
٣) التذبذب سلباً وإيجابياً في معاملة الطفل. ***(لطفي بركات أحمد، ١٩٨١م، ص ص ١٤٤ – ١٤٥).***

كما أن هناك علاقة ارتباطية بين درجات مفهوم الذات الطفل والطفلة المكفوفين وبين القبول – الرفض الوالدي. أي أنه كلما كانت اتجاهات الوالدين نحو "القبول" كلما ارتفعت درجة مفهوم الذات لدى الأبناء المكفوفين. وأنه من الضروري تصحيح اتجاهات الأبناء نحو والديهم من خلال تحسين أسلوب المعاملة الوالدية. ***(عزة عزت يس، ١٩٩٧م).***

إن التناقض الذي يحدث للكفيف من معاملة تتسم بالقسوة من بعض الناس ومعاملة أخرى تتسم بالاستجابة لكل مطالبه والعفو عنه إذا أخطأ، يعرضه لعدم الاتزان الانفعالي وعدم وجود معايير ثابتة ومحددة، فيلجأ إلى الانعزال والانزواء عن الآخرين لفترات طويلة، ويمارس خلالها ألواناً من النشاط الفردي لساعات طويلة. ***(عبد الحي محمود حسن صالح ١٩٩٩م، ص١٠٦).***

إن التراث السيكولوجي غني بالكتابات التي تناولت طبيعة المناخ الأسري لذوي الاحتياجات الخاصة وبوجه خاص الأفراد المكفوفين، وقد يكون هناك إجماع على وجود ارتباط دال بين مستوى الثقافة والوعي داخل الأسرة ومدى الاتساق في معاملة أبنائهم من المكفوفين، في حين تسود مظاهر المعاملات والاتجاهات السلبية والتي تتسم (القسوة – الإهمال – التفرقة – التدليل الزائد ... غيرها) في مجتمعاتنا النامية، لذلك ترى الباحثة أن الحاجة ماسة وضرورية لزيادة الجهود البحثية والإعلامية من خلال عمل برامج إرشاد أسري لرفع مستوى الوعي والثقافة الخاصة بطبيعة الإعاقة وسمات المعاقين.

سمات شخصية الكفيف *The Characters of the blind personality* :

قد يتصور البعض أن كف البصر يعني غياب حاسة الإبصار فقط، أو غياب الجانب البصري في المعلومات التي يحصل عليها من البيئة من حوله، بل إن فقد البصر قد صاغ الشخص الكفيف صياغة أخرى، لها معاييرها وأحكامها ولها طرق تفاعلها ولها بنيتها المعرفية الخاصة؛ حتى أصبح لها سمات مميزة متفردة تتفق وسيكولوجية هذه الإعاقة.

إن من الخصائص المميزة للأشخاص الأسوياء نزعتهم إلى تقبل الواقع بدلاً من الهروب منه، وهم وإن كانوا قد يبدون بعضاً من عدم الرضا عن الواقع، إلا أنهم يتعلمون تقبل قدراتهم، ويسعون إلى تحسين أنفسهم في اتجاه جوانب القوة فيهم، أما الأشخاص غير الأسوياء "المعاقون" فيعتبرون أنفسهم ضحية للواقع الخاطئ فيغلب عليهم اليأس والقنوط وفقدان الأمل، ويشعرون بالأسى لذلك من أنفسهم أو يلومون أنفسهم والآخرين على هذه الظروف، أو تنمو لديهم النزعات السلبية والخضوع والوهم والتردد والأنانية وغيرها من المثبطات الداخلية التي تهدر طاقات الفرد وتحول دون توظيفها ***(عبد الفتاح محمد دويدار، ١٩٩٠م، ص ٤٩٦)***.

وقد أكدت عدد من الكتابات التي تناولت سمات المعاقين، الرأي السابق، حيث يرى بعض علماء النفس الذين حاولوا تحديد سمات المعاقين بصفة عامة، أن المعاقين بصفة عامة يتسمون ببعض الخصائص، من بينها الشعور الزائد بالنقص والإحساس بالضعف والاستسلام، وعدم الشعور بالأمن، والقلق والخوف من المجهول وعدم الاتزان الانفعالي وسيادة مظاهر السلوك الدفاعي لديهم ***(غريب سيد أحمد، ١٩٨٨م، ص١١٧)***.

ورغم وجود سمات عامة لدى المعاقين فإن هناك سمات خاصة لدى المكفوفين، ويمكن تحديد هذه السمات في شخصية الكفيف كما يلي:

أنه من أهم السمات النفسية للأكفاء ما يلي:

[١] إحساس الكفيف بالعجز نتيجة لعدم قدرته على إدراك بعض الأشياء، كالمدركات اللونية والأحجام بالغة الكبر أو متناهية الصغر مهما وصفت له أو حاول البعض تعريفه بها؛ مما يؤثر تأثيرًا سلبيًا في إحساسه بالعجز.

[٢] شعور الكفيف بأن كف البصر مثير ضاغط ومؤلم يؤدي إلى قلقه المستمر، والخوف من المستقبل، وهذا الضغط يرجع إلى الشعور المتواصل بالعزلة الناتجة عن كف البصر لديه.

[٣] خوف الكفيف من المراقبة المستمرة من الآخرين، حيث يشعر أنه مراقب باستمرار من الآخرين، وأنهم متيقظون لأخطائه؛ مما يجعله أكثر تعرضًا للإجهاد النفسي والشعور بالتوتر وعدم الأمن.

[٤] الاضطرار إلى الاعتماد على الغير وانتظار المساعدة من الآخرين في الحركة والتنقل وكثير من الحاجات الشخصية؛ مما يؤدي إلى نزعة اتكالية، وقد يؤدي ذلك إلى فقدان الشخصية.

[٥] عدم الاتزان الانفعالي مما يولد لدى الطفل مخاوف وهمية مبالغاً فيها.

[٦] سيادة مظاهر السلوك الدفاعي وأبرزها الإنكار والتعويض والإسقاط والأفعال العكسية والتبرير.

[٧] عدم شعور الكفيف بالمساواة مع زملائه وأصدقائه وشعوره بالنقص وعدم شعور هؤلاء الزملاء والأصدقاء بأنه مثلهم، حيث يؤدي ذلك إلى استجابات سلبية ينكمش فيها الكفيف على نفسه وينسحب من الصداقات، وربما يكون هذا الانسحاب من جانب الشخص الكفيف راجعاً إلى ابتعاد زملائه أو أصدقائه عنه أو خجله من كف بصره؛ مما يزيد في هذا الانطواء وفي عزلته. ***(عدنان سبيعي، ١٩٨٢م، ص١٢٩)***.

[٨] الانزواء والعزلة عن الآخرين والميول الانسحابية وعدم القدرة على التفاعل الوجدانى من جانب الكفيف سواء في منزله أو مدرسته أو مجتمعه بصفة عامة، مما يعوقه عن ممارسة الأنشطة المختلفة نظرًا لأن كف البصر يعتبر معاقا لدى الشخص يعوقه عن استمتاعه بوقت فراغه وعدم قدرته على ممارسة أنشطته الترويحية ***(غريب سيد أحمد، ١٩٨٨م، ص١١٦)***، ***(عادل محمد موسى جوهر، ١٩٩٣، ص١٩٠)***.

[٩] يسود أسرة الكفيف جو التشاحن وعدم الانسجام، وينعكس ذلك كله على أساليب معاملة الكفيف واستجابته لهذه المعاملة، والتي تأخذ أشكال الإهمال أو الرفض أو القسوة مما يؤدي إلى سوء توافق الكفيف داخل أسرته ***(Vicjy Lewis, 1987, p. 10)***.

[١٠] أنه يميل إلى عدم الخوض في المغامرات الاستطلاعية التي قد تعرضه للأذى، ولذلك فهو يكبت دافعًا إنسانيًا أصيلاً هو حب المعرفة.

[١١] تعرضه لمواقف السخرية من المبصرين تجعله يفسر هذه المواقف بأنها اضطهاد له وإساءة إليه، أما السبب فهو برأيه لأنه كفيف.

[١٢] نتيجة للتناقض الذي يحدث للكفيف من معاملة تتسم بالقسوة من بعض الناس، ومعاملة أخرى تتسم بالاستجابة لكل مطالبة والعفو عنه إذا أخطأ لا لشيء إلا لأنه كفيف؛ تجعله يفضل العزلة وممارسة بعض ألوان النشاط الفردي لساعات طويلة.

[١٣] إن الأفراد الأكفاء يغلب عليهم سيطرة مشاعر الدونية، والقلق، والصراع، وعدم الثقة بالنفس، والشعور بالاغتراب، وهذا ما أكدته دراسة زوكرمان (Zukerman, 1982) فى أن الأشخاص الأكفاء أكثر شعوراً بالاغتراب عن أقرانهم من المبصرين ودراسة ساسترى (Sastry, 1985) وكول (Koll, 1986) وعفاف عبدالمنعم (١٩٨٨)، وأسماء غريب إبراهيم (١٩٨٩)، واجرويل وآخرون (Agrowal, 1989) ، وسامية لطفى داود (٢٠٠٢). وانعدام الأمن والإحساس بالفشل والإحباط، وانخفاض احترام الذات، واختلال صورة الجسم، والنزعة الاتكالية، وهم أقل توافقًا شخصيًا واجتماعيًا، واقل تقبلاً للآخرين وشعورًا بالانتماء للجميع من المبصرين.

[١٤] تؤثر الإعاقة البصرية على السلوك الاجتماعي للفرد تأثيرًا سلبيًا؛ حيث ينشأ نتيجة لها الكثير من الصعوبات في عملية النمو والتفاعل الاجتماعي، وفي اكتساب المهارات الاجتماعية اللازمة لتحقيق الاستقلالية والشعور بالاكتفاء الذاتي، ذلك نظرًا لعجزهم ومحدودية قدرتهم على الحركة ***(عبد المطلب أمين القريطي، ١٩٩٦م، ص ١٩٧)***.

[١٥] كما تؤثر الإعاقة على الشخص الكفيف من خلال تأثير الجمود الجسمي وعدم الحركة، على النمو العقلي والحسي؛ فلقد ثبت هذا من الكثير من الدراسات التي أجريت على الأكفاء، منها دراسات بياجيه Piaget، التي أثبت أن الأكفاء أقل ذكاء من أمثالهم من المبصرين، وكذلك ضعف الحواس الأخرى لديهم، وأن ما ذكر عن تميز الأكفاء في الحواس الأخرى، إنما هو نتيجة للتدريب المستمر، والتركيز في استخدام هذه الحواس لتكون تعويضًا إلى حد ما عن حاسة البصر ***(محمد عبد المؤمن حسن، ١٩٨٦م، ص٢٩)***.

[١٦] إن فقد البصر في مرحلة الطفولة المبكرة يعتبر بمثابة حادث صادم شديد الوطأة؛ يعرض الفرد للاضطرابات الانفعالية والنفسية والتي تنفجر في صورة استجابات عدوانية، وهذا ما أظهرته دراسة ناريمان محمد رفاعى (١٩٧٩، ص١٠٢)، فيوليت فؤاد إبراهيم (١٩٨٦)، وعادل موسى جوهر (١٩٩٣) فى أن المراهقين الأكفاء (ذكور ــ إناث) أكثر عدوانية من المبصرين (ذكور ــ إناث)، أو اكتئابية تؤثر بشكل ما على الاتزان الانفعالي، والتوافق الشخصي والاجتماعي للفرد. ***(فيوليت فؤاد إبراهيم، ١٩٨٠م، ص٣٦٣).***

[١٧] إن الأطفال المكفوفين لا يظهرون إدراكًا مبكرًا مثل الأطفال المبصرين؛ وذلك لعدم قدرتهم على الإبصار. كما أن الطفل الكفيف يميل إلى العزلة هربًا من الواقع ما لم تقدم له رعاية خاصة ومساعدة في مجالات الأنشطة التي يفتقدونها مثل: المعلومات عن المسافات والعناصر الثابتة التي لا يستطيع أن يميزها.

فالطفل الكفيف يمكنه أن يكون صورة للمكان المحيط به جسمانيًا مع الوقت، كما تتخذ علاقات الحيز المكاني أهمية خاصة في ظروف الإعاقة البصرية، ويؤدي تغيير المكان إلى ضعف الذاكرة المكانية لدى الطفل الكفيف مما يؤدي إلى شعوره بالإحباط والفشل ***(سميرة أبو زيد نجدي، ١٩٩٢م، ص٥٢).***

وتشير "رونا بوجراند" (٢٠٠٠م) وآخرون Rono, L.pogrund إلى أن الحماية الزائدة للطفل المعاق بصريًا تحد من تعرض الطفل للبيئة وتحد من فرصة استكشافها والتعامل الجيد معها، وتتداخل الحماية الزائدة مع مبادرة الطفل بالاعتماد على الذات والاستقلالية ورغبته في تأكيد قدراته وذاته، حيث إن المسئولية والاستقلال من أكثر الخبرات نجاحًا والتي ترفع من قدرة الطفل الذاتية، وكذلك تزيد من الرضا عن الذات والتقدير الأفضل للذات، إلا أنه من الشائع لدى الغالبية العظمى من المكفوفين سيادة روح الاعتمادية؛ والتي ولدتها أساليب التنشئة المبكرة في حياة الطفل الكفيف وسيادة روح التردد والحيرة والإحباط والتشاؤم ***(Rona, Pogrund et al., 2000 p.p. 42 – 43).***

كما تؤدي الإعاقة البصرية إلى قصور في التكيف مع البيئة التي لم يخبرها أو يتعرف عليها، وخاصة إذا كانت الإصابة بالإعاقة البصرية إصابة ولادية، مما يترتب عليه عدم الوعي بالبيئة، وقد يتسبب ذلك في صعوبات التكيف، وربما يؤدي ذلك إلى نوع من الوحدة النفسية.

لذلك ينمو الأطفال الأكفاء وهم محدودو الخبرة، ونتيجة لذلك فإن نموهم العام متأخر وهم يعتمدون على الغير نسبيًا. حيث إن الطفل الكفيف ينتقل من الجلوس إلى الوقوف مباشرة دون المرور بالمرحلة الوسطي التي من خصائصها الزحف على الأرض، كما أن لديهم سلوكيات فريدة حيث يقضون أكثر أوقاتهم وآذانهم صاغية إلى الأرض منشغلين بالأصوات الصادرة عن لعبهم، ولديهم باعث محدود في الممارسات والكشف عن الأشياء بصفة عامة.

كما أنهم يعتمدون على الأصوات في معرفة الحدث والمسافة، وليست جميع الأصوات متساوية في مساعدتها لهؤلاء الأطفال، وإنما يساعدهم فقط الأصوات التي تحمل إليهم معنى وأهمية، مما يساعدهم على التوجيه، في حين أن الأصوات الأخرى تكون بمثابة خلفية أو إرشادات فقط *(سميرة أبو زيد نجدي، ١٩٩٢م، ص٥١)*.